بين دلالة (إمراً ، ونكراً)

فى قصة

موسى والخضر من سورة

الكهف

دراسة بلاغية

دكتور

السيد أحمد أحمد موسى

مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بالزقازيق

المقـــدمـــــــة

الحمد لله الذى أحاط بالأشياء كلها علماً ، فما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها ولا حبةٍ فى ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا فى كتابٍ مبين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، المؤيد بالآيات من رب العالمين سيدنا محمد ، وعلى أله وأصحابه أجمعين ، وبعد :ـــــ

فقصة موسى والخضر ـــــ عليهما السلام ـــــ من سورة الكهف ملآنة بالأحداث الغريبة ، والمواقف العجيبة التى تقصر عن إدراكها تصورات البشر ، وتعجز عقولهم عن استكناه حقائقها ، إلا ما كشف لهم فى أطوائها من العبر.

فالقصة تشتمل على الحكمة الكبرى التى لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار ، ثم تبقى مغيبة فى علم الله وراء الأستار .

ومن ثم لا نعجب حين نرى نبى الله موسى ـــــ عليه السلام ـــــ وهو من اختصه الله بكلامه ، واصطفاه لرسالته ، وجعله من الخمسة أولى العزم من الرسل يصطدم بهذه الأحداث ، وينسى ما أخذه عليه العبد الصالح من شرط ، فلم يصبر على فعله، ولم يستطع الوفاء بوعده الذى قطعه على نفسه ، فاندفع مستنكراً أمام غرابتها ، وإن هى إلا الطبيعة البشرية التى تلتقى فى عمومها وتجد للتجربة العملية وقعاً وطعماً غير التصور النظرى، ولا تدرك الأمور حق إدراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها .

ومن ثم لا يداخل نفوسنا العجب ـــ أيضاً ـــ إذا وقفنا على تذبذب علماء التفسير واللغة حيال هذه الأحداث الغريبة التى صدرت عن الخضر ـــ عليه السلام ـــ ، وترددهم فى القطع بأيها كان أشد نكارة وقباحة ، وأيها كان أدخل فى الفظاعة من الآخر ، وأيها كان أقوى وأكثر إثارة لغضب نبى الله موسى ـــ عليه السلام ـــ ، واستجاشة لمشاعره وانفعاله ، واستخراجاً لكامن استغرابه .

هل هو خرق السفينة أم قتل الغلام ؟ إذ لم يختلفوا فى أن إقامة الجدار كان أيسرها وأهونها ، وأقلها إثارة ؛ لأنه ـــ على كل حال ـــ كان سعياً فى مصلحة ، ودرءًا لمفسدة.

وتبعاً لذلك فقد اختلفت نظرة العلماء فى الحكم بأى الكلمتين كان أقوى وأبلغ ، وأشد وأعنف فى الإنكار على العبد الصالح وتوبيخه ، إمراً فى فاصلة آية خرق السفينة أم نكراً فى فاصلة قصة قتل الغلام ؟

وهذا الموضوع حاول الباحث فيه مجتهداً أن يدلى برأيه ، وتطلع إلى حسم القضية ، وحل هذه الإشكالية التى ثارت حول الكلمتين من وجهة تتخذ من البلاغة ـــ فى المقام الأول ـــ أداة لها ، كما لا تغفل فى الوقت ذاته أن تستعين بكل ما عساه أن يحقق غاية البحث من علوم العربية الأخرى ، والله يعلم : كم ترددت فى خوض غمار هذا البحث ، وبخاصة أنى لم أجد على العمل فيه ظهيرا ؛ فكنت كلما عرضت هذا العنوان على إخواني من أهل العلم نصحنى بالانصراف عنه ؛ نظرا لصعوبته وضيقه ،

وماذا عساى أن أصنع فيه ، وكم صفحة تكتب ؟ ولكنى ألقيت عن كاهلى هذا التردد ، واستعنت على الأمر بالله جل وعلا ، فقد كان يحدونى فى ذلك ما يعلمه كل أحد عن سعة عطاء القرآن ، وبخاصة المفردة القرآنية ، وكثرة إشعاعاتها وفيوضاتها فى سياقها من النظم الكريم ، فالقرآن هو معدن الفضيلة ، ومنبع الحكمة، وهو حبل الله المتين الذى لا ينفد عطاؤه ، ولا يغيض معينه ، وصدق الله:ــ ("قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربـــــــى ولو جئنا بمثله مددا " الكهف ١٠٩) .

وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه عدة أمور ،أخص منها بالذكر ما يأتى :ـــ

١ــ الرغبة الجادة فى حسم هذه القضية ، وفض تلك الإشكالية التى تذبذبت أقوال علماء التفسير واللغة حول الكلمتين فيها .

٢ــ لفت أذهان الباحثين إلى نوع من الدراسات التى انصرف عنها جلهم فى زماننا ، ولم تحظ منهم بوافر عناية واهتمام ؛ نظرا لصعوبتها وعمقها ، وبعد غورها، وبخاصة إذا اتخذت من الأسلوب القرآنى الذى لا تتفاوت أطرافه فى الإعجاز مادة لها، وهى الدراسة البينية بين أساليب القرآن ومفرداته ، وهو نوع من الدراسة له صلة وثيقة بعلم المتشابه ، إن لم يكن نوعاً منه.

٣ــ محاولة الكشف عن بعض جانب من جوانب العظمة فى النسق القرآنى، يتعلق فى الأساس بالمفردة القرآنية ، وبيان مدى

دقتها ، وإعجازها فى الحكاية عن الأشخاص ، وتصوير أحوالهم ، ورسم ملامحهم ، وإضاءة نفسياتهم وأفكارهم.

٤ـــ التعرف على بعض أضرب الإعجاز القرآنى وأوجهه التى لم يعر العلماء دراستها من الناحية البلاغية كبير اهتمام ، ولفت أذهان الباحثين إليها ، منها : ما يعرف حديثا بالبلاغة الصوتية، ومنها : دلالات علامات الوقف والابتداء.

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة ، وتمهيد ، وستة محاور ، وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع .

فالمقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، والأسباب التى حدت بى إلى اختياره، والخطة التى يسلكها البحث فى الوصول إلى غايته .

والتمهيد : عرجت فيه بالذكر على مجمل أقوال المفسرين وبعض اللغويين ، وبينت وجهة نظر البحث فى القضية .

أما المحاور الستة فقد عرضت فيها للفصل بين الكلمتين اللتين دار عليهما البحث تأملا وتحليلا ،على النحو الآتى :ـ

المحور الأول :ـــ الفصل بالدلالة المعجمية .

المحور الثانى :ـــ الفصل بالدلالة الصوتية .

المحور الثالث :ـــ الفصل بدلالة السياق .

المحور الرابع :ـــ الفصل بدلالة المقام .

المحور الخامس :ـــ الفصل بدلالة القراءات القرآنية .

المحور السادس :ـــ الفصل بدلالة الوقف والابتداء .

وأما الخاتمة فقد أجملت فيها ماسبق تفصيله ،ورصدت فيها أبرز النتائج التى تمخضت عنها هذه الدراسة .

وبعد : فإذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن تكن الأخرى فمن ذا الذى ما أساء قط ، ومن ذا الذى له الحسنى فقط ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والله أسأل أن يرزقنى الإخلاص والسداد والتوفيق فيما أخذت فيه. إنه ولى ذلك والقادر عليه .

كتبه

السيد أحمد أحمد موسى

مدرس البلاغة والنقد بالكلية

التمهيد

" مجمل أقوال علماء التفسير واللغة ووجهة نظر البحث فى القضية "

سبق أن لوحت فى المقدمة بتذبذب علماء التفسير واللغة حيال هذه الأحداث الغريبة التى اشتملت عليها قصة موسى والخضر ـــ عليهما السلام ـــ من سورة الكهف ، وبخاصة خرق السفينة وقتل الغلام ، وترددوا فى القطع بأيها كان أشنع وأفظع وأدخل فى النكارة وأقبح .

وبناءً على ذلك فقد تأرجح موقفهم فى الحكم على أى الكلمتين اللتين جاءتا فى فاصلة القصتين ـــ وهما إمراً ونكراً ـــ تعقيباً عليهما أقوى دلالة وأبلغ ، هل إمراً فى فاصلة قصة السفينة أم نكراً فى فاصلة آية الغلام ؟

وتفصيل ذلك أن أرباب التفسير واللغة [1] ذهبوا ـــ نقلاً عن أهل العلم ـــ إلى أن قتل الغلام كان أشد وأفظع ، وأدخل فى النكارة والقبح من خرق السفينة ؛ لأن الخرق كان يمكن تداركه بالسد ،وقد وردت الروايات بذلك ـــ كما سيأتى تفصيله ـــ ،

وقتل الغلام لا سبيل إلى تداركه ، فقتل الغلام فساد حاصل ، وخرق السفينة ذريعة إلى فساد ، وفرق بين الأمرين .[1]

ومن ثم قال موسى ـــ عليه السلام ـــ فى إنكاره الأول : "إمرا" وقال فى إنكاره قتل الغلام "نكرا" ، والنكر أعظم من الإمر فى القبح ؛ لأن الإمر قد يحمل ـــ هنا ـــ على العجب والاستغراب ، والنكر أعظم من العجب ، كما أن "النكر" هو المنكر ، والمنكر: ما أنكرته العقول ، ونفرت عنه النفوس، فهو أبلغ فى تقبيح الشئ من الإمر.

ثم رجعوا عن ذلك ، وقالوا ـــ نقلاً عن أهل العلم أيضا ـــ :ـ إن خرق السفينة أشد قباحة من قتل الغلام ؛ لأنه قتل نفس واحدة ، وهوـــ من دون شك ـــ أهون من إغراق السفينة ؛ لأنه مظنة قتل عدد كبير من الأنفس، ومن ثم قال موسى فى إنكاره الخرق: " إمرا " وقال فى الثانى " نكرا "، والإمر أقوى

---

[1]ـ ينظر معالم التنزيل فى التفسير والتأويل للبغوى /٣ ص ٥٨٧ / الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر، كما ينظر تفسير الكشاف للزمخشرى /٢ص ٧٣٦ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ـ الناشر : دار الريان للتراث ـ مصرـ ، والتفسير الكبير للفخر الرازى /١٠ ص ٣٥٩ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ /١٩٩٣م ـ الناشر : دار الغد العربى ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى /١١ ص ٢٢ الطبعة الثالثة بدون تاريخ / الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والبحر المحيط لأبى حيان الأندلسى /٦ ص ١٥٠، ١٥١ الطبعة الثانية ١٤١١هـ /١٩٩٠م الناشر : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ، ولسان العرب لجمال الدين بن منظور/ أمر ص ١٢٩ /١ الناشر : دار المعارف ـ مصر ، وتفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبى السعود /٥ ص ٢٣٦ الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ـ الناشر : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ، وتفسير روح المعانى والسبع المثانى للألوسى البغدادى /١٥ ص ٣٣٩ ـ الناشر : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

وأشد من النكر ؛ لأنه يعنى الأمر العظيم المفظع ، والداهية الدهياء .

وإذا تأملنا هذا الموقف المذبذب الذى اتخذه علماء التفسير واللغة حيال الوقعتين وجدنا أنهم وقفوا فى الحكم على أى الأمرين أشد قبحاً ونكراً من الآخر على أرض رخوة ، وأساس غير متين ؛ فقد وقفوا عند حدود النظر إلى كم ومقدار الفساد والإفساد المترتب على الحدثين ـــ بحسب الظاهر ـــ وهو أمر نسبى ، يختلف باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الموقف نفسه ، وما يحفه من ملابسات ، فقد يكون قتل نفس واحدة فى زمان ومكان وموقف ما أشنع وأفظع ؛ لما يؤدى إليه من فساد وإفساد عريض أكثر مما يؤدى إليه قتل عدد من الأنفس ، وقد يكون الأمر بعكس ذلك .

وقد كان مقتضى النظر الصحيح أن يفصلوا بين الأمرين ، وبين الكلمتين على أساس من عوامل السياق ، وقرائن الأحوال ، وطبيعة المواقف ، وهم قد فعلوا ذلك فى حدود ضيقة جداً ـــ حتى لا نبخسهم حقهم علينا ـــ حين فصلوا بين الكلمتين من خلال النظر إلى الدلالة المعجمية لكل منهما ، وإن تذبذبت هذه النظرة هى الأخرى تذبذب موقفهم حول تقدير كم ومقدار الفساد والإفساد المترتب على الحدثين ، وذلك بحسب الرأى والتقدير الذى قدروه ، وذكرناه آنفا .

كما فعلوا ذلك من خلال النظر إلى عامل واحد من عوامل السياق ، كما فعل البيضاوى، وتعقبه أبو السعود فى ذلك [١] ، على الوجه الذى يأتى تفصيله لاحقاً بمشيئة الله تعالى.

على أنهم حين رجعوا فرجحوا الخرق على القتل ، والإمر على النكر إنما وقفوا فى ذلك ـــ أيضا ـــ على أساس غير متين ، ونظرة عجلى ؛ فقد بنوه على أمر مظنون محتمل ؛ لما قد يؤدى إليه الخرق من قتل عدد كبير من الأنفس ، ومن المسلم به لدى علماء الأصول أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال [٢] ، وعليه فقد انتفى أكبر دليل لمن رجح الخرق على القتل ، والإمر على النكر رأساً.[٢]

حتى علماء المتشابه الذين قطعوا بأن القتل أقبح من الخرق ودرجوا عليه ، ومن ثم ناسب أن يكون نكراً فى فاصلته ، تعقيباً عليه ، ولم يكن ليحسن مجئ أحدهما فى موضع الآخر،

١ـ ينظر تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى /٣ ص ٢٨٩ / الطبعة الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٨م ـ الناشر : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ، كما ينظر تفسير أبى السعود / ٥ ص ٢٣٥، ٢٣٦ .

٢ـ ينظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى /١ ص ٦٩ / الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م / الناشر : دار الفكر العربى ـ لبنان ، كما تنظر حاشية الجمل على شرح المنهج لسليمان بن عمر العجيلى /١ ص ١٧١ / الناشر : دار الفكر ـ بيروت .

لم يخرجوا عن هذه الدائرة التى دار فيها علماء التفسير واللغة [1] . ٣

وإلى هنا وبعد العرض السابق لمجمل أقوال العلماء نخلص إلى بيان وجهة البحث فى هذه القضية الشائكة ، تلك التى تتلخص فى أن القتل أقبح وأشنع من الخرق ، وأن " نكراً " أقوى وأبلغ فى الإنكار من " إمراً " ، ومن ثم ناسب أن يكون تعقيباً فى فاصلة قصة القتل؛ فإن المعانى الضخمة القوية تنادى على مثلها من الألفاظ ؛ تحقيقاً للمشاكلة بين اللفظ ومعناه .

وقد استند البحث فى هذه الوجهة إلى أساس قوى متين من عوامل السياق ، وقرائن الأحوال ، وطبيعة المواقف ، وهذا ما أشرت إليه سلفاً فى خطة الدراسة ، وسوف نوفى هذه المحاور المذكورة هناك تأملاً وتفصيلاً وتحليلاً فى الصفحات الآتية ، والله المستعان ، ومنه التوفيق والسداد .

---

[1] ـ ينظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى ص ١٧٠ تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ـ الناشر : دار الفضيلة القاهرة ـ بدون تاريخ ، كما ينظر ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل لابن الزبير الغرناطى /٢ ص ٧٨٨ ـ تحقيق : سعيد الفلاح ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ الناشر : دار الغرب الإسلامى ـ بيروت .

المحور الأول

الفصل بالدلالة المعجمية

ينصرف الذهن حين يطلق مصطلح الدلالة المعجمية إلى المعنى الذى وضعت بإزائه اللفظة فى المعاجم ـــ أو هو معنى الكلمة كما سجلته المعاجم ـــ؛ فمن المعلوم أن ألفاظ اللغة ـــ أية لغة ـــ لها دلالات ومعان وضعت لها فى لسان المتكلمين بها ، وفى استعمالاتهم .

هذه الدلالات التى وضعت بإزائها الألفاظ قد تكون هى الأصل والأساس لكثير من الطاقات التى تنفجر عنها الكلمة حين تجتمع مع كلام أخر ، وتنظم فى سلكه .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة والتفسير ؛ للوقوف على دلالة هاتين الكلمتين ـــ إمراً ونكراً ـــ اللتين دار عليهما موضوع البحث ؛ حتى يتسنى لنا الحكم بآيتهما أدخل فى الإنكار والاعتراض على العبد الصالح ، وأقوى وأبلغ فى مجابهته وتوبيخه وجدناها تأخذ بنا إلى تأكيد أبلغية نكراً ، وأنه أقوى دلالة من إمراً فى قصة خرق السفينة ، ومن ثم ناسب أن يكون فى فاصلة الحدث الأشنع ـــ وهو القتل ـــ تعقيبا عليه .

وبرهان ذلك ما جاء فى معانى القرآن المنسوب للكسائى ، قال : (قوله ـــ تعالى ـــ :ـ " لقد جئت شيئا إمرا " ، أى :

جئت شيئا منكرا داهياً عجباً ، واشتقه من قولهم : أمر القوم ، إذا كثروا)[1] ، والعرب ـــ كما قال ابن جنى ـــ نصف الدواهى بالكثرة [2] .

وقال أبو عبيدة : الإمر : الداهية العظيمة ، وأنشد :ـــ

لقد لقى الأقران منى نكرا داهية دهياء وإمرا إدا[3]

وذهب النحاس إلى أن "إمراً" معناه : فعلت شيئاً عظيماً هـائلاً ، أو شيئاً عظيماً من المنكر[4].

وقال صاحب الكشاف :(" جئت شيئاً إمـرا " : أتيت شيئاً عظيما ، من أمر الأمر ، إذا عظم)[5] .

وجاء فى لسـان العرب :(قال أبو إسحاق :ـ قوله ـــ تعالى :ـــ " لقد جئت شيئا إمرا " ، أى :ـــ جئت شيئا عظيما

---

[1]- معانى القرآن لعلى بن حمزة الكسائى ص ١٨٨ ـ تقديم د/ عيسى شحاته عيسى ـ الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م ، كما ينظر المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيده /١٠ ص ٣٠١ أمر / تحقيق : عبدالحميد هنداوى / الطبعة الأولى ٢٠٠م ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢ـ ينظر سر صناعة الإعراب لابن جنى /٢ ص ٦٢٣ ـ تحقيق د/ مصطفى السقا ، د/ محمد الزفزاف ، د/إبراهيم مصطفى ، أ/عبدالله أمين ـ الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ /١٩٥٤م ـ الناشر وزاة المعارف .

٣ـ ينظر تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن /١١ ص ١٩، والبيت فى لسان العرب / أمر ص ١٢٩ /١ .

٤ـ معانى القرآن للنحاس /٤ ص ٢٦٩ ـ تحقيق الشيخ: محمد على الصابونى / الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م / منشورات جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية .

٥ـ الكشاف للزمخشرى /٢ ص٧٣٥ .

من المنكر ، وقيل : الإمر ـــ بالكسر ـــ الأمر الشنيع العظيم ، وقيل : العجيب) [١] .

وعلى هذا درج كثير من المفسرين ، فقال الفخر الرازى : " لما شاهد موسى ـــ عليه السلام ـــ منه الأمر الخارج عن العادة قال هذا الكلام ، لا لأجل أنه اعتقد فيه أنه فعل قبيحاً ، بل لأنه أحب أن يقف على وجهه وسببه ، وقد يقال فى الشئ العجيب الذى لا يعرف سببه : إنه إمر ، ويقال: أمر الأمر ، إذا عظم ، ويقال: داهية دهياء"[٢] وقال فى موضع أخر: " وقيل إن قوله ـــ تعالى ـــ :ـ "لقد جئت شيئا إمرا" أى : عجباً " [٣].

وقال القرطبى :" قوله ـــ تعالى ـــ:ـــ " لقد جئت شيئاً إمراً " ، أى: عجباً ، قاله القتبى ، وقيل : منكرا ، قاله مجاهد ، وقال أبو عبيدة : معناه الداهية العظيمة ، وأنشد ... البيت " [٤] .

وإذا تأملنا هذا الكلام السابق الذى وجه به علماء اللغة والتفسير دلالة الكلمة وجدناها تحتمل عندهم عدة معان؛ فقد تكون بمعنى: الداهية العظيمة، أو الشئ الشنيع المنكرـــ وهما معنيان متقاربان ـــ أو بمعنى : الأمر العظيم ، أو الشئ العجيب، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ابن فارس فى المقاييس ـــ وهو من فقهاء اللغة ـــ حمل الكلمة فى الآية على معنى العجب ، قولاً واحداً حين قال :ـ (الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأمر من الأمور ، والأمر ضد النهى ، والأمر النماء والبركة؛ بفتح الميم ، والمعلم ، والعجب [٥]) ثم قال : " وأما العجب فقول الله ـــ تعالى ـــ :ـــ "لقد جئت شيئاً إمرا"[٦] ، وأن كثيرا من

علماء المتشابه [٧] درجوا ـــــ أيضا ـــ على حملها على هذا المعنى وحده ، وعلمنا أن العجب ـــ وكذا الأمر العظيم ـــ يستعمل فيما كان خيراً وشراً ، وأن النكر لا يكون إلا شراً محضاً [٨] ، وبرهان ذلك أنهم أجمعوا على أن المقصود به فى الآية الكريمة هو المنكر[٩] ، والمنكر ـ٥ـ كما قال الراغب ـــ الدهاء والأمر الصعب الذى لا يعرف ، وهو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو تتوقف فى استقباحه أو استحسانه العقول ، فتحكم بقبحه الشريعة [١] ، والنكر : نعت للأمر الشديد ، وقد نكر بالضم : اشتد وصعب [٢] ، ولهذا قالوا : المراد شيء أنكر من الأول ، إذا أضفنا هذا كله إلى ما تقدم من كلام علماء اللغة

١ـ اللسان / أمر /١ ص ١٢٩
٢ـ التفسير الكبير للفخر الرازى /١٠ ص ٣٥٧ .
٣ـ ينظر المرجع نفسه /١٠ ص ٣٥٩ .
٤ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى / ١١ ص ١٩.
٥ـ مقاييس اللغة لابن فارس / أمر / ١ ص ١٣٧ ـ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ـ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ـ الناشر : شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ مصر .
٦ـ المرجع نفسه / أمر /١ ص ١٣٩ .
٧ـ ينظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى ص ١٧٠ ـ تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا .
٨ـ ينظر المرجع نفسه ص ١٧٠ ، كما ينظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى /١ ص ٣٠١ / تحقيق محمد على النجار / الناشر : المكتبة العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
٩ـ ينظر الكشاف /٢ ص ٧٣٦ ، وتفسير البيضاوى /٣ ص ٢٨٩ ، واللسان /٦ نكر ص ٤٥٣٩ .
١ـ ينظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى / نكر/ ص ٨٢٣ ، ٨٢٤ ـ تحقيق : صفوان عدنان داوودى ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ـ الناشر : دار القلم ـ دمشق .
٢ـ ينظر لسان العرب لابن منظور ـ نكر /٦ ص ٤٥٣٩ .
٣ـ ينظر تفسير روح المعانى للألوسى /١٥ ص ٣٤٠ .

والتفسير تأكد ما قررناه ـــ أولاـــ من أن إمراً دون نكراً فى المعنى ، ومن ثم ناسب أن يكون فى فاصلة الحدث الأهون ، تعقيباً عليه ، ولم يكن ليحسن مجئ أحد الوصفين فى موضع الأخر . والله ـــ تعالى ـــ أعلم .

أما من استدل بالبيت الذى أنشده أبوعبيدة آنفا على أن النكر دون الإمر فى المعنى فلا أرى له وجها فى ذلك ، بل هو أمارة دامغة على أن النكر أقوى وأبلغ ؛ ألا ترى الشاعر قد فسر النكر فى البيت بداهية من صفتها كيت وكيت ، وجعل الإمر بعض أوصافها [٣].

المحور الثانى

الفصل بالدلالة الصوتية

المعنى والصوت يرتبط كلاهما بصاحبه قوة وضعفا ، وجمالا وقبحا ارتباطا وثيقا لا يقبل التفرقة؛ فالصوت يؤدى وظيفة دلالية ونحوية وصرفية عند استعماله فى سياقه الصحيح.

ومن المسلم به أن لكل صوت جرسا خاصا يميزه من غيره ، ومعنى فى نفسه يعرف به، وهذا المعنى هو وظيفته التى يؤديها فى الكلام المنطوق.(١)

ومن هنا تظهر أهمية النطق بالكلام ؛ فإن ذلك يساعد على تصور المعنى ، ويفجر الطاقات الصوتية الكامنة فى الألفاظ ، وبخاصة إذا أدينا الإلقاء حقه ، فوفينا مخارج الحروف ، ولاحظنا النبر والتنغيم ، وراعينا مواضع الوقف والوصل.(٢)

وانطلاقا من ذلك فإن الدلالة الصوتية هى التى تستمد من طبيعة الأصوات نغمها وجرسها، وهى نتاج ضم الحروف بعضها إلى بعض ، وتتابع الأصوات وتنوعها على نسق موسيقى خاص ، ولن تكون حركات اللسان لفظا ، ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت.(٣)

وقد فطن القدامى من لغوى العرب إلى هذا النوع من الدلالة فتحدث عنها ابن جنى تحت اسم الدلالة اللفظية ، ومثل لها بالفعل أو الحدث ، وكيف يدل لفظه على مصدره ، فالفعل (قام) يدل بحروفه ـــ أووحداته الصوتية ـــ على القيام ، بمعنى : أننا وقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل. [٤]

كما أشار إلى هذا النوع من الدلالة أثناء حديثه عن أصوات بعض الحروف، وعلاقاتها الدلالية، فأشار إلى أن أصوات بعض الحروف لها دخل فى دلالتها ، فقد تكسبها القوة أو الضعف ، تبعا لنوع الحرف ، فقولهم : النضح ، للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ، قال تعالى :ـ " فيهما عينان نضاختان " (الرحمن :٦٦) ، فجعلوا الحاء ـــ لرقتها ـــ للماء الضعيف ، والخاء ـــ لغلظها ـــ لما هو أقوى منه.[١]

كما فطن علماء البلاغة والأدب ، كالجاحظ [٢] ، وابن سنان الخفاجى[٣] ، وابن الأثير[٤]، والعلوى[٥] إلى هذا النوع من الدلالة ـــ أيضا ـــ ، وليس ذلك حكرا على المحدثين وحدهم، وما حديثهم عن فصاحة الكلمة المفردة ، وفصاحة الكلام إلا نوع من هذه الدراسة .

وكذلك حديثهم عن الجرس ـــ بمعنى : أن يأتى مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث ـــ ما هو إلا نوع من هذه الدلالة له صلة قوية بما ذكره ابن جنى من أصوات الحروف التى تأتى على سمت الأحداث المعبر عنها .[٦]

بل إن كثيرا من الأوصاف التى أطلقت فى مجال الدرس البلاغى والأدبى والتى تعكس إحساسا معينا بقيم جمالية فى اللفظ والجملة ، كالحلاوة والطلاوة ، والجزالة والعذوبة ، والقوة والضعف إنما ترتبط بقيم صوتية فى أداء اللفظ منفردا ، ومن خلال التشكيل المتناغم ، وغير ذلك مما له علاقة بهذا الجانب الصوتى كثير فى كلامهم[٧].[٦]

وإذا انتقلنا بعد هذه التوطئة التى أعتذر إلى القارئ عن إطنابى فيها فإن هذه الدلالة الصوتية ـــ بهذا الفهم السابق عند علمائنا المتقدمين ـــ تميل بنا إلى تثقيل كفة النكر ، وتلك حقيقة يصدقها الوقوف على أصوات الكلمتين صوتا صوتا .

فلفظة " إمراً " تتركب مـــن ثلاثة أحرف ، هى : الهمزة ، والميم ، والراء ، ولفظة "تكراً " تتكون هـــى الأخرى من أحرف ثلاث ، هى : النون ، والكاف ، والراء .

١ـ ينظر الخصائص /٢ ص ١٥٨ .
٢ـ ينظر البيان والتبيين /١ ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦١ ، ٨٧ .
٣ـ ينظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٢١ ، ٥٤ ـ الناشر : مطبعة صبيح ١٩٦٩م .
٤ـ ينظر المثل السائر لابن الأثير /١ ص ١٥٢ وما بعدها إلى ١٥٨ ـ تحقيق : الشيخ كامل محمد محمد عويضة ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٥ـ ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ص ٥٠١ وما بعدها إلى ٥٠٦ ـ راجعه : محمد عبدالسلام شاهين ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٦ـ ينظر الخصائص /٢ ص ١٥٧ ، والبلاغة الصوتية فى القرآن الكريم ص ٢٧ .
٧ـ ينظر البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم . د/ محمد إبراهيم شادى ص ٩ .

وإذا تأملنا فى نوع وطبيعة الأصوات المذكورة فى تلك اللفظتين وجدنا أن النكر أقوى وأبلغ دلالة ؛ لما تتسم به أصواتها من قوة ؛ ذلك أنا إذا نظرنا إلى عين الكلمتين تبين أن عين المثال " إمرا " هى الميم ، وأن الكاف هى عينه فى " نكرا ".

وصوت الكاف أقوى وأجهد فى المخارج من الميم ؛ لأنها أعمق مخرجا من الميم، وأقوى وأغلظ منها صفة ؛ " فالكاف تخرج بالتقاء متن اللسان عند نهاية الثلث الداخلى منه بما فوقه من أول الحنك الصلب التقاء محكما ، يحبس النفس ، ونسمع صوت الكاف ، ووقوع الالتقاء بمتن اللسان ، لا بكل عرضه ، وعلى أول الحنك الصلب ، لا على الحنك الرخو هو الذى يكسب الكاف العربية صداها الذى هو أدق صدى من القاف " [1] .[7]

فمخرجها من أقصى الحنك مما يلى مخرج الخاء والقاف ، وهما من أعمق الحروف مخرجا ، وأقواها صفة .

والكاف حرف شديد ينغلق مجرى النفس عند النطق بها انغلاقا تاما لينفجر به الهواء دفعة واحدة ؛ ولهذا عده المحدثون من هذه الجهة صوتا انفجاريا ؛ ليشعر تركب الكلمة منه ـــ هنا ـــ بالشدة والحدة ، والإمعان فيما تناوله من معنى ، وهو ـــ هنا ـــ الاعتراض، والإنكار والتوبيخ .

---

[1]ـ أصوا ت اللغة العربية . دراسة نظرية وتطبيقية . د/محمد حسن حسن جبل ص ١٧٢ ، ١٧٣ ـ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
٢ـ ينظر المرجع نفسه ص ١٢٢.
٣ـ سر صناعة الإعراب لأبى الفتح عثمان بن جنى /١ ص ٧٥ .

ثم إن انحباس النفس عند النطق بها انحباسا تاما لينفجر بها الهواء دفعة واحدة لمما يصور كم ومقدار شحنات الغضب والانفعال التى امتلأ بها صدر الكليم ـــ عليه السلام ـــ وبلوغها الزبى ، حتى انفجرت بها نفسه ، فاندفع يعلن فى قوة وعنف عن موقفه الرافض المستنكر لهذه الفعلة الشنعاء.

وهى حرف مصمت ، وليست مذلقة ؛ وإنما سميت حروف الإصمات بذلك لثقلها بالنسبة إلى خفة حروف الذلاقة ، فالشئ المصمت ـــ أى : الممتلئ الجوف ـــ أثقل من الفارغة [٢] ، وقد علل ابن جنى تسميتها مصمته " بأنها صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة " [٣] ٨، وما ذلك ـــ أيضا ـــ إلا لثقلها وغلظها فى المخارج ، وهى بهذه الصفة تصور غاية الضيق الذى حشرج به صدر موسى ـــ عليه السلام ـــ من هذه القتلة الشنعاء .

وبهذا فإن حرف الكاف أوحى بدلالات معينة من جهة صفته ، ولوح بدلالات أخرى من جهة مخرجه ، وهذه الدلالات كلها ارتبطت أوثق ارتباط بجو الإنكار الذى وردت فيه الكلمة .

١ـ أصوات اللغة العربية . د/ محمد حسن حسن جبل ص ٢٣١.
٢ـ ينظر المرجع نفسه ص ٢٣٢.
٣ـ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى /١ ص ٥٢ ـ تحقيق د/ مهدى المخزومى ، د/إبراهيم السامرائى الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ـ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ بيروت .
٤ـ ينظر سر صناعة الإعراب لابن جنى /١ ص ٢١، والسبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٥،٣٩٦ . تحقيق : د/شوقى ضيف ـ الطبعة الثانية ـ الناشر :دار المعارف ـ القاهرة .

أما صوت الميم فهو أخف وطأة من الكاف ؛ "إذ يخرج بانطباق الشفتين، مع مرور هوائه وزميره من الأنف " [١]

والميم حرف رخو يجرى النفس معــه آن نطقه ، وليست شديدة ، وهى مذلقة ، وليست مصمتة ،على عكس الكاف تماما ، وإنما سميت بذلك لاتصافها بالخفة والسلاسة فى النطق ؛ إذ لا يكلف نطقها إلا التقاء الشفتين أيسر التقاء [٢] ؛ ولذلك قال الخليل فى تعليل هذه التسمية :" فلما ذلقت الحروف الستة ،ومذل بهن اللسان، وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام ؛ فليس شئ من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها " [٣] .

وهى بخفتها وسلاستها مخرجا وصفة تنادى على أن الخرق أهون من القتل ، وأن نكراً فى فاصلة قصة الغلام أبلغ من إمراً فى فاصلة خرق السفينة ، وأدخل منه فى الإنكار .

وأما فاء الكلمتين وهما الهمزة والنون فمع أن الهمزة فى "إمرا" أعمق وأجهد صوتا فى المخارج من النون فى "نكرا" إلا أنه قد استعيض عن هذا الثقل بتحريك النون مضمومة ، لتوازى النون فى ثقلها بهذا الضم ثقل الهمزة أو تفوق ؛ إذ من المعلوم أن حركة الصوت جزء معناه ، وعلى قدر قوة الحركة وغلظها فى المخارج تكون قوة المعنى والدلالة ، ومن المعلوم ـــ أيضا ـــ أن الضمة هى أقوى الحركات وأفخمها ، وأن تتابع الحركات على المثال أقوى دلالة وأبلغ من تعاقب الحركة والسكون علــيه ؛ فإن السكون أقل كلفة ، وأخف وطأة وإجهادا للجهاز الصوتى من الحركة ، لا سيما إذا كانت هاتان الحركتان المتتابعتان ضمتين ، كما فى قراءة من قرأ

"نكرا" بضم الفاء والعين [٤] ، وذلك على الوجه الذى يأتى تفصيله وتحليله لاحقا فى المحور الخامس من هذه الدراسة إن شاء الله ـــ تعالى ـــ ؛ ومن ثم فإن هذا كله يتعانق على تأكيد أن نكراً بضم الفاء وسكون العين ، أو بضم الفاء والعين أقوى وأبلغ دلالة من إمراً بكسر الفاء وسكون العين .

وإذا كان مخرج الهمزة فى "إمرا" أعمق من مخرج الميم فى الكلمة نفسها ؛ فالـــهمزة تخرج من أقصى الحلق بعصر وضغط هناك ، والميم تخرج بالتقاء الشفتين أيسر التقاء [١] فإن الانتقال من الثقيل إلى الأخف ، ومن الأعمق إلى ما فوقه أيسر فى المخارج وأسلس من الانتقال من الخفيف إلى الأثقل فى "نكرا" ،فإن الكاف أدخل فى مخرجها ، وأغلظ فى صفتها من النون فى الكلمة نفسها ، وهذا يفسر لك خفة "إمرا" فى اللسان أكثر من "نكرا" ، ومن ثم وقوفها دون نكراً فى المعنى والدلالة.[٩]

وأخيرا : فإن عمق مخرج الهمزة فى "إمرا" هو الذى يصور لك بدقة شديدة غرابة حدث الخرق ، وبعده عن المظنون والعادة ؛ وهذا يميل بنا إلى ترجيح تفسير من فسر " الإمر" بالشئ العجيب؛ فإن الغرابة مثير من مثيرات التعجب ، ومن مناطاته.

وهذا يؤكد ما نحا إليه البحث من ترجيح أبلغية النكر وقوة دلالته ؛ فإن العجب يستعمل فى الخير والشر ـــ كما سبق بيانه

١ـ ينظر أصوات اللغة العربية . د/ محمد حسن حسن جبل ص ١٣٠ ، ٢٣٢ .

ـــــ والنكر لا يكون إلا شرا محضا ، وشتان بين الأمرين ، والله ـــــ تعالى ـــــ أعلم .

المحور الثالث

الفصل بدلالة السياق

السياق له أهمية كبرى فى تحديد المعانى والكشف عنها ؛ ذلك أن معظم الأنساق الدلالية تقع مجاورة لأنساق أخرى ، والسبيل إلى معانى هذه الأنساق هو وضعها ومكانها فى النص ، ويكون ذلك بملاحظة الأنساق الأخرى التى تقع مجاورة لها [1].[10]

فالسياق ـــ إذا ـــ هو النص الذى تذكر فيه الكلمة ، والإطار اللفظى الذى يكتنف العبارة من بين يديها ومن خلفها ، ويتفاعل معها بما يضمه من عناصر لغوية ، فيحملها طاقات دلالية جديدة ، لم تكن لتحملها وهى منفصلة عنه [2].

هذه العناصر اللغوية والقرائن اللفظية التى يتكون منها هذا الإطار لا تقف عند حدود ما فى النص من فاعل ومفعول ، وترتيب كل ذلك ، وما يعطيه من معنى ، بل تتعداه إلى تأثير السياق اللغوى على اختيار بعض الصيغ دون بعض ، وتحليله على المستويات اللغوية المختلفة ، مع ترابط كل ذلك فى داخله ، وتفاعله على نحو يفجر الطاقات الكامنة للعبارة ، فيوجه حركة الذهن تجاه استشراف

١ـ ينظر الدلالة السياقية عند اللغويين . د/عواطف كنوش المصطفى ص ١٩٧ .

٢ـ ينظر التعريض فى القرآن الكريم . د/إبراهيم محمد عبدالله الخولى ص ٦٧ ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣ـ ينظر المرجع نفسه ص ٧٠.

المعنى وتمثله ، والوقوف على الأبعاد الدلالية المختلفة الى تنشأ عن هذه التفاعلات .

وفى غيبة السياق تقف معطيات العبارة عند حدود المعنى الوظيفى لهذه الكلمة ؛ فهى حقيقة ، أو مجاز ، أو كناية ، ثم لا شئ وراء ذلك [٣] .

وليس المقام ـــ هنا ـــ مقام تفصيل الحديث عن المقصود بدلالة السياق ، وإنما عرجت على ذلك ؛ تمهيدا كاشفا بين يدى الفصل بين الكلمتين موضع البحث ، فهلم إلينا الآن نأخذ فيه بأطراف الحديث بيننا بحول الله وقدرته ، وعونه ومدده .

وبادئ ذى بدء فإننا حين ننظر فى عناصر هذه الدلالة ومفرداتها فى النظم نظرة مجملة نجد أنها تنطق مفصحة بأبلغية نكراً وأشديته فى التصدى للعبد الصالح ومجابهته .

أما بيان ذلك وتفصيله فإنك وقت تتأمل أول ما تتأمل فى القصتين يثير اهتمامك أن النسق الكريم آثر فى قصة الخرق قوله :ـــ" حتى إذا ركبا فى السفينة " فهما من ركاب السفينة ، هذه واحدة ، والثانية : أنه عدى فعل الركوب بالحرف "فى " الذى يدل على الظرفية ، مع أن الفعل يتعدى بنفسه، تلويحا بالتمكن والاستقرار ، والدخول فى الشئ والاطمئنان فيه ، خلافا لأبى السعود الذى ذهب إلى أن تعدية الفعل بـ "فى " ـــ هنا ـــ للتلويح بمحلية المفعول ، وليس لكونهم فى جوفها [١] ؛ فإن ظاهر النظم ، وقرائن الأحوال تأباه .

ومحال أن يخرق الخضر ـــ عليه السلام ـــ السفينة خرقا واسعا يؤدى إلى غرقها ؛ "فسلامتها سبب لسلامته ظاهرا ، وفى المثل : لا ترم فى البئر التى تشرب منها حجرا" [٢] ، فهذا إن حصل قتل للنفس عمدا ، ولا يقدم على ذلك عاقل ، فضلا عن أن يقدم عليه نبى .[١١]

وفى المقابل آثر النظم فى قصة قتل الغلام قوله :ـــ " فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما " حيث آثر الفعل من اللقاء " لقيا " الذى يلوح بأنه كان لقاء عابرا عن مصادفة ، كما نكر لفظ الغلام ـــ وهو المفعول به ـــ ؛ تفخيما وتهويلا له بإبهامه ، فى الوقت الذى عرف "السفينة " فى قصة الخرق ("تعريف العهد الذهنى ، كما فى قوله ـــ تعالى ـــ :ـ "وأخاف أن يأكله الذئب" يوسف :١٣) [٣] وهذا كله ينبئ عن أن المسافة كانت بعيدة جدا بين دواعى القتل عند العبد الصالح وبين ظاهر الحال من أمر هذا الغلام ، وهذا يقتضى أن يكون الإنكار عليه أشد ، ويستلزم أن يكون التوبيخ عليه ألذع [٤].

١ـ ينظر تفسير أبى السعود ص ٢٠٩ .
٢ـ تفسير روح المعانى /١٥ ص ٣٤١ .
٣ـ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور /١٥ ص ١١٠ ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م ـ الناشر : مؤسسة التاريخ ـ بيروت ـ لبنان .
٤ـ ينظر التفسير القرآنى للقرآن لعبدالكريم الخطيب/ ١٦ ص ٦٧٠ ـ الناشر: دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ.

كما تلحظ تغير النسق الكريم فى قصة قتل الغلام عن الوجه الذى جاء عليه فى قصة خرق السفينة ؛ فقد جعل الخرق فى قصة السفينة جزاء: "حتى إذا ركبا فى السفينة = خرقها " ، واعتراض موسى عليه فيها مستأنفا : " قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا " وفى قصة الغلام جعل قتله من فعل الشرط :" حتى إذا لقيا غلاما فقتله" ؛ وبينة ذلك عطفه بالفاء ، وجعل اعتراض موسى عليه جزاء :"قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس " ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن القتل أقبح ، والاعتراض عليه أدخل ، فكان حقيقيا أن يجعل ـــ أى اعتراضه ـــ عمدة الكلام ؛ ولذلك فصله بقوله :"لقد جئت شيئا نكرا" ، أى : منكرا [١] ، وهو مبنى على أن الحكم فى الكلام الشرطى هو الجزاء ، والشرط قيد له بمنزلة الحال عن أهل العربية ، وتحقيق ذلك فى المطول [٢].

وأما من اعترض فذكر أن الغرض من تغيير النظم بجعل ما صدر عن الخضر ـــ عليه السلام ـــ فى قصة القتل من جملة الشرط ، وإبراز ما صدر عن موسى ـــ عليه السلام ـــ فى معرض الجزاء المقصود إفادته ، مع أن الحقيق بذلك إنما هو ما صدر عن الخضر من الخوارق البديعة ؛ لاستشراف النفس إلى ورود خبرها ؛ لقلة وقوعها فى نفس الأمر ، وندرة وصول خبرها إلى الأذهان ؛ ولذلك روعيت تلك النكتة فى قصة الخرق = هو التنبيه على أن صدور الخوارق منه ـــ عليه السلام ـــ خرج بوقوعه مرة مخرج العادة ، فانصرفت النفس عن ترقبه وانتظاره إلى ترقب أحوال موسى ـــ عليه السلام ـــ واختبار إرادته

وصبره ، والوقوف على رد فعله ، هل يحافظ على مراعاة شرطه ؛ بموجب وعده الأكيد عند مشاهدة خارق آخر ، أم يسارع إلى المناقشة ، كما مر فى المرة الأولى ؟ فكان المقصود إفادة ما صدر عنه ـــ عليه السلام ـــ فغير النظم إلى ما غير ، ولله در شأن التنزيل [٣]، فإنه لا يتناقض ولا يتنافى مع ما تقدم من غرض ؛ إذ النكات لا تتزاحم ، وإنما تتعانق على تصوير المقصود وإبرازه على أكمل وجه [٤].[١٢]

ثم إن ما ذكره من النكتة يتأتى مع ما سبق تقريره من أن القتل أقبح من الخرق ، وعلى القول بالعكس، وهذا بخلاف ما تقدم ؛ فإنه كان مبنيا على أقبحية القتل ، فمن لا يقول بها يحتاج فى بيان النكتة إلى غير ذلك ، والله أعلم [٥].

ومما هو ذو صلة بالجزئية السابقة تلك الفاء التى سبق أن أشرنا إليها ، والتى عطفت حدث القتل على فعل الشرط ، وجعلته

١ـ ينظر تفسير البيضاوى /٣ ص ٢٨٩ .
٢ـ ينظر المطول لسعد الدين التفتازانى ص٣١٦، ٣٣٣ وما بعدها ـ تحقيق : د/ عبدالحميد هنداوى ـ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠١١م ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٣ـ ينظرتفسير أبى السعود /٥ ص٢٣٥ وما بعدها ، كما ينظر من أسرار حروف العطف فى الذكر الحكيم " الفاء ، ثم " . د/ محمد الأمين الخضرى ص ١٤٩ ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ـ الناشر : مكتبة وهبة ـ القاهرة .
٤ـ ينظر تفسير روح المعانى للألوسى / ١٥ ص٢٤١.
٥ـ ينظر المرجع نفسه /١٥ ص ٢٤١.

جزءا منه ؛ إذ تفيد وقوع القتل عقيب اللقاء من غير ريث ولا مهلة ، وأن المبادرة إليه كانت أسرع من المبادرة إلى خرق السفينة ، وفى هذا إشعار بأن الاعتراض عليه كان أشد ، والتوبيخ كان أدخل وألذع ؛ لدلالته على بعد المسافة بين دواعى قتله وبين ظاهر حاله ؛ إذ لو مضى زمان بين اللقاء والقتل أمكن نظرا للأمور العادية إطلاع الخضر فيه من حاله على ما لم يطلع عليه موسى ـــ عليه السلام ـــ فلا ينكر عليه كل هذا الإنكار [1] .

على أن مما يحسم الأمر فى هذه القضية من سياق النظم الكريم أن الكلام فى قصة خرق السفينة جرى على نسقه من مجيئه على مقتضى الظاهر فى اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ ؛ فقد جرى ذكر السفينة بالاسم الظاهر فى قوله :ـ " حتى إذا ركبا فى السفينة " ثم جرى الكلام عليها بعد ذلك بالإضمار فى جملة الجزاء "خرقها" وفى اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ عليه : "قال أخرقتها لتغرق أهلها" ؛ لتقدم ما يرجع إليه الضمير من ذكرها أولا فى فعل الشرط .

وأما فى قصة القتل فقد جرى الكلام فى اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ على غير نسقه من مجيئه على خلاف مقتضى الظاهر ؛ حيث ذكر موسى ـــ عليه السلام ـــ الغلام بالاسم الظاهر :ـ " أقتلت نفسا " مع أن ظاهر النسق أن يحدث عنه بالضمير ، فيقال : " أقتلته "؛ لتقدم مرجعه فى الجملة الشرطية: "حتى إذا لقيا غلاما ".

ومن المجمع عليه لدى البلاغيين أن هذه الطريقة فى الكلام تنتظم المعانى الكبيرة التى يحرص المتكلم على الاعتناء بها ، والاهتمام بشأنها ، والتلويح بخطرها .

وموسى ـــ عليه السلام ـــ إنما أراد بهذا التحول تفخيم الأمر وتهويله ، وتشنيعه وتفظيعه، وأنه بلغ فى النكارة حدا لا غاية له ، اقتضى تحويل الكلام والعدول به عن نسقه ؛ ليتنبه عند هذا المقطع من مقاطع المعنى ويلتفت إلى بالغ نكارته كل أحد ، وهذا ما لا ينهض به الضمير.[١٣]

كما أنه ـــ عليه السلام ـــ وصف هذه النفس المقتولة بكونها :"زكية" وهى الطاهرة من الذنوب ، وفى هذا إشعار بأنه لم يكن بالغا ، خلافا لبعضهم؛ فإن البالغ قلما يزكو [٢] ، وهذا ـــ أيضا ـــ من مقتضيات الاسم الظاهر ، فى حين أنه لم ينعت السفينة بشئ ؛ زيادة فى تفخيم حدث القتل وتهويله ، وتفظيعه وتشنيعه ـــ أيضا ـــ أكثر مما كان عليه حاله عند خرق السفينة.

ثم إنه ـــ عليه السلام ـــ قيد قتله بكونه :" بغير نفس " تصويرا لنهاية غضبه وحنقه ، وإظهارا لقوة امتعاضه ، ودلالة على أنه أدخل فى النكارة والفظاعة ، " وإنما خص موسى ـــ عليه السلام ـــ هذا من بين موجبات القصاص ، كالزنا بعد الإحصان ،

١ـ ينظر المرجع السابق / ٥ ص ٢٤٠ ، كما ينظر التحرير والتنوير / ١٥ ص ١١٢.

٢ـ ينظر روح المعانى للألوسى / ١٥ ص ٣٣٨.

والكفر بعد الإيمان ؛ لأنه الأنسب بمقام القتل ، الأقرب إلى الوقوع نظرا إلى حال الغلام" [1] .[14]

أما فى قصة السفينة فلم يزد على أن استفسر عن العاقبة التى قد يئول إليها أمر الخرق :" أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا "، وذلك على ما قيل من أن اللام الداخلة على الفعل للعاقبة [2].

ومن عوامل السياق التى تعضد وجهة البحث فيما نحا إليه أن إنكار موسى ـــ عليه السلام ـــ على الخضر قتل الغلام جاء فى ثوب رخى من الكلمات أكثر مما فى قصة الخرق ؛ فقد جاء فى قصة الغلام فى تسع كلمات، ابتداء من قوله سبحانه :ـ " أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ".

أما اعتراضه فى قصة الخرق فقد جاء فى سبع كلمات ، ابتداء من قوله سبحانه:ـ " أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا " .

ومن المسلم به لدى علماء العربية أن زيادة المبنى ـــ مع توسيع هذا الأصل؛ ليشمل زيادة مبنى الكلام ، لا سيما القرآن الكريم ، والحديث الشريف، وكذا الكلام العالى، شعرا ونثرا ـــ دليل

---

[1] ـ تفسير أبى السعود /٥ ص ٢٣٥ بتصرف .
٢ـ ينظر روح المعانى للألوسى /١٥ ص ٣٣٦ ، والتحريروالتنوير / ١٥ ص ١١٣.
٣ـ تفسيرالبيضاوى /٣ ص ٢٨٦.

على زيادة المعنى ، فهذه الزيادة تنبئك عن أن غضب موسى ـــ عليه السلام ـــ فى قصة القتل كان أقوى، وإنكاره على الخضر كان أشد ، وتوبيخه إياه كان ألذع ، وهو ما نادى على إطناب العبارة ؛استيعابا لهذه المشاعر الجياشة وتنفيسا عن هذا الغضب المحتد، وهدهدة لذاك الانفعال الفائر،كما تقتضيه هذه المواقف .

ومما هو ظاهر الدلالة فيما نحن بصدده ما كلم به الخضر موسى ـــ عليه السلام ـــ عقب اعتراضه ؛ ففى واقعة الخرق عاتبه بقوله : " أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " وفى حادثة القتل جاء رده على هذا النحو : " أَلَمْ أَقُل لَّكَ پ لَن تَسْتَطِيعَ پ صَبْرًا " ، مؤكدا بزيادة : "لك" ، وقد ذكروا أن الغرض من مجئ هذه الكلمة ـــ هنا ـــ هو " زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية ، ووسم بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ، ولم يرعو بالتذكير أول مرة ، حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية " [٣] .

وما زاد الخضر فى مكافحته بالعتاب،وما اشتد عليه فى النكر ثانيا إلا لأن اعتراض موسى فى قصة القتل ـــ كما قرر علماء المتشابه ـــ [١] كان أشد وأقوى ، وهذا ما نحا إليه ـــ أيضا ـــ السمين الحلبى ، حين ذكر أن من ذهب إلى النكر أبلغ استدل بمجئ "لك" فى جوابه ثانيا [٢] ؛ حتى يتواءم الرد فى قوته وشدته مع قوة الإنكار وشدة الغضب .

ومما هو كالدليل على هذا الفهم أنهم قالوا ـــ أيضا ـــ : " إن الخضر قصد بالأولى تذكير موسى ـــ عليه السلام ـــ بما شرطه عليه ، فخاطبه بلطف وأدب ، وفى الثانية كرر موسى الإنكار عليه وزاد ، فشدد الخضر عليه ، وأكد القول بـ "لك" ؛ لأن كاف الخطاب أبلغ فى التنبيه [٣][١٥].

ويمكن ان أضيف إلى هذه الجزئية دليلا أخر يعضد ما نحا إليه البحث ، وهى وجهة نظر تحتمل الخطأ والصواب ، هذه الوجهة تتمثل فى أن عتاب الخضر لموسى على اعتراضه فى قصة القتل جاء فى جملتين ، وقد نادى عليه مجئ "لك" فيه ؛ كأنه قال :"ألم أقل لك" وسكت ، بحذف المقول ؛ لدلالة سياق الكلام بعده عليه ، حتى تذهب النفس فى تصوره كل مذهب ، ويدفعها الشوق وحب الاستطلاع إلى ترقبه وتلمسه ، ثم استأنف قوله : "إنك لن تستطيع معى صبرا" ليهتك الحجب عن هذا المقول المحذوف، ويطفئ لهيب الشوق فى النفوس إليه.

١ـ ينظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى ص ١٧٠ ، كما ينظر دليل الحيران فى متشابهات القرآن ـ إعداد : عبدالمنعم كامل شعير/٢ ص ١٤٦ ـ الناشر :ـ دار الكتاب الحديث ـ القاهرة / طبعة ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.

٥ـ ينظر الدر المصون للسمين الحلبى /٤ ص ٤٧٤ ـ تحقيق : الشيخ على محمد معوض ، د/ جاد مخلوف ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣- كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة ص ٢٤٢ بتصرف ـ تحقيق:د/عبدالجواد خلف ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ /١٩٩٠م ـ الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصورة .

أما جوابه عن اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ فى قصة الخرق فجاء فى جملة واحدة، وهو ما اقتضاه حذف "لك" فيه ، والله أعلم .

ومن دلائل السياق التى تنادى على أشدية نكراً ، ومن ثم انسجامه فى موقعه تعقيبا على قصة القتل ما جاء فى جواب موسى ـــ عليه السلام ـــ على الخضر عقب تذكيره إياه بما شرطه عليه ؛ ففى قصة الخرق اعتذر موسى ـــ عليه السلام ـــ بالنسيان : "قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا " وفى هذا إيحاء قوى بأنه لو كان على ذكر بما شرط ما أنكر عليه .

وأما فى قصة القتل فقد اعتذر موسى ـــ عليه السلام ـــ بقوله : " قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا" الذى ينبئ عن أنه ـــ عليه السلام ـــ لم يكن ناسيا ولا غافلا ، وإنما قصد إلى الاعتراض والإنكار قصدا ؛ فالغلام فى نظره برئ، لم يرتكب ما يوجب القتل ، بل لم يبلغ الحلم ، حتى يؤاخذ بما صدر عنه [1] .

وهذا وذاك يشعر بأن القتل كان أقبح من الخرق ، وأنه بلغ فى فظاعته ونكارته حدا لم يصبرموسى على وقوعه ، ولم يستطع كبح جماح مشاعر الغضب والانفعال التى اجتاحت نفسه ، وملأت قلبه تجاه الحدث ، فاندفع مسرعا ينكر على العبد الصالح ويوبخه ، وهو ما ترتب عليه بعد أن ذكره الخضر بشرطه طلب مفارقته ، وجعله فى حل من صحبته ، وهذا ـــ أيضا ـــ ما نطق به حديث النبى

ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "أن الأولى كانت مـــن موسى نسيانا ، والثانية شرطا" (٢).

ومما يؤكد هذه النتيجة ويقررها ـــ أيضا ـــ أن اعتذاره ـــ عليه السلام ـــ عن اعتراضه الأول جاء فى نبرة هادئة ، وصوت خافت ضعيف : "لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا" يصور لك هذا أسلوب النهى الذى يفيد معنى الالتماس ، والألفاظ المستعملة نفسها : لا تؤاخذنى ـــ بما نسيت ـــ ولا ترهقنى من أمرى ـــ عسرا" ، كما يجسده تمثل الانفعالات النفسية وتقمصها أو تخيلها فى أمثال هذه المواقف.

فى حين جاء اعتذاره عن اعتراضه عليه قتل الغلام فى نبرة حادة ، وصوت صاخب قوى ، ينادى على أن شناعة الحدث ما زالت مهيمنة على مخيلته ، عالقة بذهنه، وأن آثار مشاعر الانفعال والغضب ما زالت تحول دون سمعه وعقله .

هذه النبرة الصاخبة تبدو جلية من خلال أسلوب الشرط :" إن سألتك عن شئ بعدها...." ، ومن هذه الفاء التى دخلت على جملة الجزاء :"فلا تصاحبنى" والتى تلوح بالحسم ، والجزم بالترك وسرعة المفارقة، ثم من خلال هذه الجملة المستأنفة : "قد بلغت من لدنى عذرا " التى تنبئ بجرسها عن أن الانفعال ما زال على أشده ، كما تنادى بصيغها وألفاظها ـــ كتصدرها بحرف التحقيق "قد" وإيثار صيغة الماضى من البلوغ : "بلغت" والتى تنبئ عن الوصول إلى غاية الشئ ونهايته ، ونون التوكيد المتصلة بالظرف "لدن"، وكذا تقديم الجار والمجرور : "من لدنى" على المفعول به " عذرا " على

نفاد صبره ، وقلة تحمله ، أى : قد بلغت إلى الغاية التى تعذر بسببها فى فراقى ، حيث خالفتك مرة بعد مرة " [٣] .[١٦]

فهذا كله يأخذ بنا إلى أن إنكاره عليه حين قتل الغلام كان أشد وقعا ، وأثقل وطأة على نفسه مـــــن اعتراضه عليه حين خرق السفينة ، وهو ما انعكست آثاره على نبرة اعتذاره حيال الموقفين.

وثمت أمر آخر حميم الصلة بما تقدم ، هو أن اعتذار موسى ـــ عليه السلام ـــ عن اعتراضه الأول جاء فى جملة واحدة : " لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا" على اعتبار أن الجملتين المتعاطفتين فى حكم جملة واحدة [١] ، وفى المقابل جاء اعتذاره عن إنكاره عليه القتل فى جملتين، إحداهما :شرطية : " إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى" وهى مقول القول ، والأخرى : مستأنفة ، وهى قوله :" قد بلغت من لدنى عذرا "، وفرق كبير فى المعنى بين ما تعطيه الجملة الواحدة من إيحاء، وبين ما تعطيه الجملتان من دلالة ، كما سبق أن قررنا من أن زيادة المبنى أمارة زيادة المعنى .

وإذا انتقلنا بعد النظر فى هذه الأحداث الغريبة ، ويممنا وجهنا إلى تفسير الخضر إياها ، وكشفه ستار الغيب المكنون عنها ، وأنخنا

١ـ ينظر فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ـ /٤ ص ١٢٨ ـ الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ـ الناشر : دار الشروق ـ القاهرة

٢ـ الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده / ٥ ص ١٢٠ ـ الناشر : مؤسسة قرطبة ـ مصر ـ بدون تاريخ.

٣ـ روح المعانى للألوسى / ١٦ ص٢.

١ـ ينظر الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى /٢ ص٢٧٨ ـ تحقيق : د/ سيد الجميلى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر : دار الكتاب العربى ـ بيروت ، كما ينظر تفسير أبى السعود /٢ ص٥٣ .

عنده الرحال وجدنا أنه يمضى هو الآخر فى ترجيح جانب النكر على الإمر ، ويأخذبك إلى أنه أبلغ وأقوى دلالة منه ، وهو ما يستلزم أشدية القتل وأشنعيته .

ويأتى فى طليعة ما تقف عليه من دلالات السياق هناك هو نص الخضر على أن باعثه على الخرق إنما هو إرادة العيب : " فأردت أن أعيبها" ، فليس المقصود من ورائه هو الإغراق ، كما ظن موسى ـــ عليه السلام ـــ ؛ ولذلك قال : "فأردت " ، ولم يقل : فأعبتها ، أى : أجعلها ذات عيب بالخرق، ولم أرد إغراق من بها ، كما حسبت أنت ، وثمت فرق شاسع بين خرق يراد به العيب ، وخرق يردا به الإغراق ، فهذا يوحى بأن الخرق لم يكن واسعا ، وإنما كان بقدر ما يؤدى به الغرض ؛ بحيث يمكن تداركه وسده، وذلك على الوجه الذى سوف يأتى تفصيله فى دلالة المقام ، وشتان بينه وبين قتل حاصل فى تصوركم ومقدار الانفعال والغضب تجاه كل منهما.

ثم إن الخضر ـــ عليه السلام ـــ وصف هؤلاء المساكين ملاك السفينة بكونهم : "يعملون فى البحر" فعمل البحر حرفتهم وديدنهم الذى لا ينفكون عنه ، وهذا يقتضى عرفا أنهم يجيدون السباحة ، ويتقنون التعامل مع البحر فى مختلف الظروف والأحوال، فالمسافة بينهم وبين الغرق بعيدة ؛ لبعد الدواعى التى تقتضيه وتقود إليه.

كما أن قوله تعالى : " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " إنما يشى بأنه إنما خرقها لتبقى لأهلها ، وهذا يقتضى أن يكون التخريق واقعا على وجه لا تتلف به تلك السفينة بالكلية ، ولا يؤدى

إلى غرقها وغرق أهلها ؛ إذ لو كان كذلك لم يكن الضرر الحاصل من غصبها أبلغ من الضرر الحاصل من تغريقها ، وحينئذ لم يكن تخريقها واجبا [1] ١٧.

ولا شك فى أن هذه الدواعى كلها كانت حاضرة فى ذهن نبى الله موسى ـــ عليه السلام ـــ ماثلة نصب عينيه وهو ينكر عليه ، ومن ثم كان لها مردودها وأثرها فى تخفيف حدة الانفعال عنده ، وهدهدة نبرة التوتر لديه .

على أن الأسباب الداعية إلى قتل الغلام ـــ كما كشف عنها النسق الكريم ـــ أقوى وأبلغ ، وأفخم وأعظم من الأسباب الداعية إلى خرق السفينة ؛ فدواعى قتل الغلام دينية ، ودواعى خرق السفينة دنيوية ؛ فالغاية من قتل الغلام حفظ الدين ، والمقصود من خرق السفينة حفظ المال ، وحفظ الدين مقدم على حفظ المال وأولى ،فارتكب لصيانته الأمر الأعظم ، والفعل الشنيع الأفظع ؛ فبحسب قوة الأثر ، وفخامة النتيجة وعظمها يكون البذل والتضحية ، وكلما كان المطلوب عزيزا نفيساً ، كان الثمن باهظا كبيرا ، وهذا ما لم يكن فى خرق السفينة.

كما أن دواعى قتل الغلام التى كشف الخضر عنها الحجب تفصيلا أكثر من دواعى خرق السفينة ؛ فدواعى خرق السفينة لا تعدو الثلاثة ، وهى على الترتيب الذى جاءت عليه فى الآية الكريمة :" أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ـــ فأردت أن

---

[1] ـ ينظر التفسير الكبير للفخر الرازى /١٠ ص ٣٦٦ .

أعيبها ـــ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" ، ودواعى قتل الغلام تتخطى الثلاثة ، وهى ـــ أيضا ـــ على الترتيب الذى جاءت عليه فى النسق الكريم: " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ـــ فخشينا أن يرهقهما طغيانا ـــ وكفرا ـــ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة ـــ وأقرب رحما".

ومن دلالة السياق ـــ هنا ـــ أن النظم الكريم أعطى قتل الغلام فى التفصيل والتفسير مساحة أوسع مما جاء عليه فى خرق السفينة ؛ فقد جاء تفصيل أسباب الخرق فى آية واحدة ، وجاء تفسير الأسباب الباعثة على القتل فى آيتين كريمتين .

بل إن الخضر ـــ عليه السلام ـــ ساق تفسير حدث القتل وبيان دواعيه ونظمها على طريق التفصيل بعد الإجمال ، والإيضاح بعد الإبهام ؛ إذ مقتضى ظاهر النسق أن يقال: فأردنا أن يبدلهما ربهما أزكى منه وأرحم ؛ فإن فعل الزكاة والرحمة مما يصاغ منها أفعل التفضيل صراحة ، وقد جاء ذلك فى كتاب الله ـــ تعالى ـــ [1] إلا أن النظم الكريم آثر التفضيل منهما بوساطة صيغة مساعدة ؛ زيادة فى التقرير والتوكيد ، حتى جعلت القصة الواحدة قصتين ؛ لما فيه من المدح والثناء والإشادة ما ليس فى : " أزكى وأرحم " ، وهذا كله إنما كانت الغاية من ورائه هى الزيادة فى إدخال الأنس والطمأنينة فى نفس الكليم ـــ عليه السلام ـــ من قسوة الفعل ، وشدة شناعته وفظاعته ، واستلال سخيمة الغضب ، ومحو أثار الحدث التى ما زالت عالقة بقلبه ، مهيمنة على مخيلته ، كما تقتضيه هذه المواقف .

على أن هذه الفاءات فى تفسير أسباب قتل الغلام : " وأما الغلام فكان ـــ فخشينا ـــ فأردنا " تؤكد ما نحا إليه البحث من وجهة ؛ إذ تنطق بتلاحق الأحداث وتتابعها سراعا، وكان الخضر أراد أن يأتى على تفصيل دواعى القتل بسرعة ، ومن دون مهلة أو تراخ؛ لأن الكليم ـــ عليه السلام ـــ ما زال مفعما بمشاعر الغضب والغيظ تجاه هذا الفعل الشنيع المنكر ، لا ينفك عن ترقب ما يكشف عنه الخضر من أسبابه وتفاصيله .

أما فى تفصيل أسباب الخرق فلم توجد إلا فاءان اثنتان ، وفى هذا نداء على أن العبد الصالح لم يعجل فى تفصيل أسباب الخرق عجلته فى تفسير أسباب القتل ، وهذا له دلالته الصارخة وإيحاؤه الجلى بأن الخرق كان أهون وأخف وطأة على صدر موسى ـــ عليه السلام ـــ من قتل الغلام .

ومن قرائن السياق فى هذا الصدد ـــ أيضا ـــ اختلاف الضمائر فى تفصيل أسباب الوقعتين ؛ ففى بيان أسباب الخرق أسند الخضر الأفعال إلى نفسه :" فأردت أن أعيبها" ، وفى تفسير أسباب القتل أسند الأفعال إلى ضمير جماعة المتكلمين : "فخشينا أن يرهقهما ـــ فأردنا أن يبدلهما" ، فهذا ينادى على أن قتل الغلام كان أشنع وأفظع ، وأدخل فى النكارة وأبلغ من خرق السفينة ، ومن ثم جاء إليه صاحبه فى تفصيل أسبابه من عل ، فتحدث إليه بلسان الذى يعرض نفسه فى مستوى غير المستوى الذى كان يخاطبه فيه بعد خرق السفينة ؛ للإيماء إلى اضمحلال إرادته فى إرادة الله ،

والإعلام بأن علمه مقتبس من المشكاة القدسية ، ولا شوب فيه لرأيه [٢][١٨].

إن إيثار ضمير جماعة المتكلمين فى تفسير قصة القتل هو الذى " يلوح بأن الخضر ليس وحده ، وإنما هو مع مشيئة مشئ ، وإرادة مريد " [٣] .

وهذا ـــ لا شك ـــ يعمل فى تسكين نفس موسى ـــ عليه السلام ـــ وتخفيف حدة انفعاله وغضبه ، وهدهدة توتره ، وتأنيس قلبه وتطمينه عمل السحر ؛ فالخضر لم يصدر فى قتل الغلام عن رأيه ، ولم يقدم على ما أقدم عليه باجتهاده ، وإنما يستند فى ذلك إلى قوى خفية ، ينطق عنها ويحدث بجلالها وعظمتها.

وليس كذلك أمر الخرق ؛ فإن سبب الإعابة إدراكه ؛ لمن له علم بحال تلك الأصقاع ؛ ولذلك أفرد الضمير [١].

وأخيرا : فإن القرآن فى كثير من سياقاته ومقاماته وصف العذاب الذى توعد به الكافرين ، وأخذهم به بالنكر ، وما وصفه بالإمر ، ومن يتتبع كلام الله ، ويتدبر كتابه يقف على صدق هذه الحقيقة وجلائها ، وإن شئت دليلا دامغا على ذلك فأنصت إلى قول الله ـــ سبحانه ـــ فى السورة نفسها ، فى قصة ذى القرنين عقب هذه

١ـ قال تعالى : " قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين " {الأعراف الآية ١٥١} ـ وقال تعالى :" فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فينظر أيها أزكى طعاما ...."{الكهف الآية ١٩}.

٢ـ تنظر حاشية الشيخ زادة / ٣ ص ٢٧٢ الناشر : دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ ، كما ينظر التفسير القرآنى للقرآن لعبدالكريم الخطيب /١٦ ص ٦٧٠ .

٣ـ التفسير القرآنى للقرآن/١٦ ص ٦٧٠.

القصة: ("قالَ أمَّا مَن ظَلَمَ فسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إلَى رَبِّهِ فيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً" الكهف : ٨٧) ، وقوله ـــ سبحانه ـــ من سورة أخرى: (وكَأيِّن مِّن قرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّهَا ورُسُلِهِ فحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً" الطلاق : ٨).

بل إن القرآن وصف أهوال القيامة فى بعض سياقاته بالنكر، ولم يرد فيه أن وصفها بالإمر ، وذلك قوله ـــ سبحانه ـــ :(" فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ " القمر ٦) ، فهذا وغيره له مغزاه ، وله دلالته فى أن النكر أبلغ وأقوى فى تفخيم الشئ وتهويله من الإمر .

وأما قول من قال :" إن النكر دون الإمر ؛ لأن الذى يقتضيه نظم القصة أنه ذكر الأغلظ ، ثم تنزل إلى الأهون ؛ فقتل النفس أهون من الخرق ؛ لما فيه من إهلاك جماعة ، وأغلظ من إقامة الجدار بلا أجرة ، فليس بشئ ؛ لأنه حكى على ترتيب الوجود ، ولا تنزل فيه ولا ترقى ، وإنما يلاحظ ذلك بالنسبة إلى ذيل ما انتهى " [٢] والله أعلم .[١٩]

١ـ ينظر التحرير والتنوير /١٥ ص ١١٩.
٢ـ روح المعانى للألوسى /١٥ ص ٣٤٠.

المحور الرابع

الفصل بدلالة المقام

المقام عنصر ضرورى لفهم النص وتذوقه ، وفى غيبة المقام يستغلق النص ، ولا يكفى لفتح أقفاله أن نحلله نحويا ـــ بإعرابه ـــ لنصل إلى فحوى عملية التعليق بين كلمه، ولا يكفى فيه كذلك أن يضم لهذا التحليل النحوى بيان معانى مفرداته أو بعضها معجميا [1] .٢٠

والمقام ــ كما عرفه البلاغيون ــ : هو الأمر الداعى لورود الكلام على صفة مخصوصة، أو هو الاعتبار المناسب الذى يقتضى أن يرد الكلام على نحو ما [2] .

١ـ ينظر مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث . د/إبراهيم محمد عبدالله الخولى ص ٧٣ ـ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م الناشر : دار البصائر ـ القاهرة .
٢ـ ينظر شروح التلخيص /١ ص ١٢٢ ، ١٢٣ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٣ـ ينظر التعريض فى القرآن الكريم . د/إبراهيم عبدالله الخولى ص ٨٤ .
٤ـ ينظر حاشية الدسوقى من شروح التلخيص /١ ص ١٥٢ . الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، كما ينظر التعريض فى القرآن الكريم . د/إبراهيم الخولى ص ٨٤ ، كما ينظر دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة ص ٦٠ ، د/ عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ـ الناشر : دار المنار ـ القاهرة .
٥ـ ينظر تصور المقام فى البلاغة العربية . د/ محمد بدرى عبدالجليل ص ٣٦ ـ الناشر : دار المعرفة الجامعية ٤٠شارع سويتر الأزاريطة ـ الإسكندرية .

وهذا التعريف يقود الذهن إلى فهم خاص هو أن المقام يجسد إطارا غير لفظى ، وسياقا خارجيا من القرائن ، يحف العبارة بوصفها حدثا لغويا يقع فى موقف ما ، يؤثر فى دلالتها رغم انفصاله عنها ، على عكس السياق ؛ إذ يؤثر فيها وهو متصل بها [٣] .

والمقام يضم جملة من الملابسات التى يصعب ـــ إن لم يكن مستحيلا ـــ حصرها ، فضلا عن ضبط كمها ومقاديرها ، ومن بين هذه الملابسات : البعد الزمانى ، وكذا المكانى ؛ إذ لابد للحدث اللغوى من زمان ومحيط اجتماعى يقع فيه [٤] .

ومنها أحوال الأشخاص : متكلمين ومخاطبين ، وهذا الأخير أولاه البلاغيون عناية خاصة ، حتى صار خليقا بانصراف الذهن إليه ، إذا أطلق لفظ المقام ؛ نظرا لتباين أحواله واختلاف صنوفه تنوعا وتعددا [٥] .

ومنها الموضوع والغرض ، وإنهما لعلى نفس الدرجة من الأهمية وخطر الشأن ، بل لا أكون مبالغا إذا قلت : إنهما أكثر ما يعمد إلى تجليته وبيانه الباحثون من ملابسات المقام .

وخلاصة القول : إن المقام عنصر مهم وضرورى من عناصر الصياغة، لا يتأتى الاستغناء عنه ، ولا يمكن تجاهله بحال من الأحوال ، وإلا أخللنا بشرط بلاغة الكلام ؛ ذلك " أنه ـــ أولا ـــ جزء من الحدث اللغوى ؛ إذ الحدث اللغوى لا يقع فى فراغ .

ولأنه ـــ ثانيا ـــ يستحيل فهم دلالات كثير من الأساليب إلا بوساطته وعلى ضوئه .

ولأنه ـــ ثالثا ـــ يفرض وجوده فرضا حين تتضمن العبارة نفسها إشارة تستدعى المقام وتستحضره ، أو تفرض علينا أن نستحضره ونسترجعه ، وإلا أخللنا بشرط وضعه المتكلم من شروط الفهم الصحيح [1] .

وحين نستدعى قرائن الأحوال فيما نحن بصدده من الفصل بين الكلمتين، وأيتهما أشد وأبلغ فى مدافعة العبد الصالح نجد أنها تنحاز إلى أشدية "نكراً"، وتنادى على أنه أقوى من "إمراً" فى الإنكار على الخضر ـــ عليه السلام ـــ ومن ثـم جاء تعقيبا على الحدث الأفظع ، والفعلة الشنعاء ، وهى قتل الغلام .

ولكى نقف على وجه هذا الحكم ، حتى نطمئن إلى صحته فلا محيص من أن نسترجع هذه الملابسات التى واكبت القصتين ، واكتنفت الحدثين ، وأحاطت بهما ، ونقف معهما بالتأمل ، وقد تجسدت فى كثير من المرويات التى تعاقبتها وتناقلتها كتب التفسير فيما يتعلق بكيفية الخرق والقتل ؛ فإنها تصور لنا بوضوح ، وتحدد لنا بدقة كم ومقدار الانفعال النفسى الذى أشبعت به نفس الكليم ـــ عليه السلام ـــ وملأ صدره تجاه الحدثين.

أما فى قصة خرق السفينة فقد ذكر المفسرون ـــ فى إحدى رواياتهم ـــ أن الخضر خرقها بعد ما لججوا ؛ حيث أخذ فأسا فقلع من ألواحها لوحين مما يلى الماء ، وجعل موسى ـــ عليه السلام

ـــ يسد الخرق ثيابه ، ويقول : " قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا " [٢] [٢١] .

كما ذكروا ـــ فى رواية أخرى ـــ أنه ـــ عليه السلام ـــ خرقها ، ووتد فيها وتدا [٣] .

وفى رواية ثالثة عن ابن عباس مرفوعا : أنهما لما ركبا واطمأنا فيها ، ولجت بهما مع أهلها أخرج مثقابا له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار، حتى خرقها ، ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها [٤] .

والجمع بين هذه الروايات الثلاث سهل ميسور ؛ إذ يحتمل أنه ـــ عليه السلام ـــ قلع لوحين من ألواحها أولا ثم ثقبها ثانيا ، أو ثقبها ثم قلع لوحين من جدارها لتكون بادية العيب ظاهرة العطب ، حتى لا يطمع فيها طامع .

وذكروا فى رواية رابعة أن أهل السفينة حملوهما ، فساروا حتى إذا شارفوا على الأرض خرقها ، وقد جمعوا بين هذه الرواية وما سبقها من الروايات التى ذكرت أن الخرق كان وهى فى وسط الماء بأن أول العزم كان وهى فى اللجج ، وتمام الفعل كان وقد شارفت على الأرض [١] .

١ـ التعريض فى القرآن الكريم . د/إبراهيم الخولى ص ٨٥ بتصرف .
٢ـ ينظر الكشاف للزمخشرى /٢ ص ٧٣٥ .
٣ـ ينظر روح المعانى للألوسى / ١٥ ص ٣٣٥ .
٤ـ ينظر المرجع نفسه / ١٥ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.

وقد ذكر بعضهم ـــ اعتراضا على هذه الرواية ـــ أن ظاهر الآية يقتضى أن خرقه إياها وقع عقب الركوب ؛ لأن الجزاء يعقب الشرط [٢] .

وأجيب عن ذلك بأنه ليس بلازم ، وإنما اللازم تسبب الجزاء عن الشرط، ووقوعه بعده ، ألا تراك تقول : إذا خرج زيد على السطان قتله ، وإذا أنشدت السلطان قصيدة أعطاك جائزة ، مع أنه كثير ما لا يعقب القتل الخروج ، والإعطاء الإنشاد [٣] .

وقد صرح ابن الحاجب بأنه لا يلزم وقوع الشرط والجزاء فى زمان واحد ، فيقال: إذا جئتنى اليوم أكرمك غدا ، وعلى ذلك قوله تعالى : (" وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا " مريم : ٦٦).

ومن التزم ذلك كالرضى جعل الزمان المدلول عليه بإذا ممتدا ، وقدر فى الآية المذكورة: أئذا ما مت وصرت رميما ، وعليه ـــ أيضا ـــ لا يلزم التعقيب[٤] .

فكل هذه الروايات المذكورة حول خرق السفينة تكشف بوضوح أن كيفية الخرق لم تكن لتؤدى إلى غرق من فى السفينة ؛ فهو ـــ كما مر ـــ إما خرق باقتلاع لوحين مما يلى الماء ، وليس مما يماسه ويباشره ، ويعضد هذا الفهم ما نقله الفخر الرازى من أن اللوحين المقتلعين كانا من جدارها[٥] [٢٢]، وإلا فاقتلاع لوحين من قعر

١- ينظر المرجع السابق / ١٥ ص ٣٣٦.

السفينة يؤدى حتما إلى الغرق ، وإما خرق بثقبها ، سواء أكان ذلك بالمنقار أو بالوتد ، بل جعل موسى ـــ عليه السلام ـــ يسد الخرق بثيابه ، وأخذ الخضر لوحا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها.

وإما خرق وقد شارفت السفينة على اليابسة ، فهذا كله ينادى على أن الخرق لم يكن واسعا بحيث يستحيل تداركه وسده ، أو بحيث يؤدى إلى وقوع الغرق وقوعا مؤكدا .

وفرق كبير بين خرق يؤدى إلى الغرق جزما ، وخرق هو مظنة احتمال غرق بنسبة ضئيلة جدا فى قوة الأثر النفسى والانفعال المترتب على كل منهما .

وأما فى قصة قتل الغلام فقد أخرج البخارى فى إحدى رواياته :ـ أن الخضر ـ عليه السلام ـ أخذ برأسه من أعلاه فاقتلعه بيده [1] ، وذكر فى رواية أخرى :ـــ أنه أخذه فأضجعه ، ثم ذبحه بالسكين [2] .

وقيل : ضرب برأسه الجدار حتى قتله ، وقيل رضخه بحجر ، وقيل : ضربه برجله فقتله ، وقيل : أدخل أصبعه فى سرته فاقتلعها فمات [3] .

٢ـ ينظر السابق/ ١٥ ص ٣٣٦ ٣ـ ينظر السابق نفسه / ١٥ ص ٣٣٦.

٤ـ ينظر كتاب الكافية فى النحو لابن الحاجب ، وعليه شرح الرضى على الكافية /٢ ص ١١١ ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ ، كما ينظر روح المعانى للألوسى /١٥ ص٣٣٦ .

٥ـ ينظر التفسير الكبير للفخر الرازى / ١٠ ص ٣٥٦ .

وأيا ما كانت الطريقة التى وقع بها القتل فإن هذه الروايات ـــ وقد حاول الجمع بينها الألوسى فى تفسيره [٤] ـــ تتعانق جميعا على تصوير الكيفية التى قتل بها الغلام ، وتصرخ بأنها بلغت فى الشناعة والبشاعة والفظاعة غايتها ومنتهاها بحسب الظاهر ، ولك أن تذهب نفسك كل مذهب ممكن فى تصور وتخيل كم الغضب ، وتمثل مقدار الانفعال والأثر النفسى المترتب على هذه القتلة البشعة الشنيعة التى تستفز المشاعر والأحاسيس الجامدة ، وترقق القلوب القاسية ، وتهز الانفعالات الراكدة هزا عنيفا ، فضلا عن مشاعر وقلوب وانفعالات ذوى الفطر السليمة الحساسة فضلا عن الأنبياء والمرسلين ، وبخاصة أولى العزم من الرسل منهم ، فشتان بينها وبين خرق لا يؤدى فى كل أشكاله وأحواله ـــ على الوجه الذى نطقت به القرائن المذكورة ـــ إلى الغرق ؛ ولو بنسبة ضئيلة .[٢٣]

ومما يؤكد هذا ويقرره ما حكاه القرطبى من أن موسى ـــ عليه السلام ـــ لما قـــال للخضر ما قال غضب الخضر غضبا شديدا ، واقتلع كتف الصبى الأيسر ، وقشر اللحم عنه ، وإذا مكتوب فيه : كافر لا يؤمن بالله ـــ تعالى ـــ أبدا [٥] ، ومن المسلم به أن

١ـ صحيح البخارى / كتاب التفسير / باب فلما بلغ مجمع بينهما /٤ ص ١٧٥٥ـ تحقيق : مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ـ الناشر : دار ابن كثير ـ بيروت .
٢ـ المرجع نفسه /٤ ص ١٧٥٥ .
٣ ينظر روح المعانى للألوسى / ١٥ ص ٣٣٨.
٤ـ ينظر السابق نفسه / ١٥ ص ٣٣٨ .
٥ـ ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى / ١١ ص ٢١ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكاب ١٩٨٧م .

رد الفعل قوة أو ضعفا يكون على حسب الفعل نفسه قوة أو ضعفا ؛ فكلما كان الفعل قويا عنيفا كان رد الفعل على الدرجة نفسها من القوة والعنف ، وكلما كان ضعيفا كان رد الفعل ضعيفا مثله .

فهذا ينادى على أن موسى ـــ عليه السلام ـــ قد ذهب به الغضب كل مذهب ـــ مع مراعاة أحوال الأنبياء فى العصمة ـــ واشتد على العبدالصالح فى النكير أكثر مما اشتد عليه فى خرق السفينة ، وهذا ما دفع الخضر ـــ عليه السلام ـــ إلى الإقدام على ما فعل، على الوجه الذى صورته الرواية المذكورة، مما قد يبدو فى ظاهره هو الآخر أشد فظاعة وشناعة .

وأخيرا : أفلا تنطق كل هذه الملابسات والقرائن التى درسها البحث فى هذه الدلالة، وغيرها مما سبق أن عرضنا له فى دلالة السياق بأن قتل الغلام كان أقبح فى ظاهره من خرق السفينة ، ومن ثم فالإنكار عليه جاء أشد ، والتعنيف عليه كان أقوى؟ ألم تدخل السكينة والطمأنينة إلى قلبك فى ترجيح ما ذهبت إليه من أن "نكراً " فى فاصلة قصة القتل أقوى وأبلغ فى الإنكار والتوبيخ للعبد الصالح من " إمرا " فى فاصلة قصة الخرق ، فجاء كل على ما يلائم ، ولم يكن ليحسن مجئ أحد الوصفين فى موضع الآخر ؟!

المحور الخامس

الفصل بدلالة القراءات القرآنية

اقتضت حكمة الله ـــ تعالى ـــ فى قرآنه لتيسير ذكره فى التلاوة ، والإيجاز فى تصوير معانيه ، واستيعاب أحكامه أن تتغاير أوجه قراءاته ، وهذه حقيقة يصدقها قول الله ـــ سبحانه ـــ :ـــ ("وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ " القمر ١٧) ، كما يصدقها حديث النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ :" إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"[١].[٢٤]

على أن القراءات القرآنية لا يقتصر أمرها على هذين الغرضين فقط ، كما استقر وشاع ، فثمت أوجه أخرى كثيرة غير ما سبق ، لها مظانها فى الكتب المتخصصة فى القراءات ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، ولا يعجز طلبها والبحث عنها من يريد التعرف عليها.

١ـ صحيح البخارى ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف / ص١٠٠ .

٢ـ ينظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى /١ ص ٥٢ راجعه : محمد على الضباع ـ الناشر : المكتبة التجارية الكبرى ، كما ينظر معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى /١ ص ١٦٩ تحقيق : محمد على البجاوى ـ الناشر : دار الفكر العربى .

وقد قيض الله ـــ تعالى ـــ لهذه القراءات علماء أجلاء ، وثقات مخلصين ، حملوا على عاتقهم أمانة نقلها ، والتثبت من رواياتها وأسانيدها ، وعنوا بتوجيهها ، والاحتجاج لها أو بها ، كل بحسب منزعه ومنهجه .

وكـــان أن بزغ من بين هذه الاتجاهات فى التوجيه اتجاه آخر ، كان يعنى بالبحث فى معانيها ، وتلمس الأوجه البلاغية المترتبة على تغايرها واختلافها ، حتى عدها ابن الجزرى ، والسيوطى وجها من وجوه الإعجاز البلاغى فى القرآن وسمة من سمات التحدى القائمة به [٢] .

وحين نقصد إلى الفصل بين الكلمتين ، ونسلك سبيل القراءات فى بيان أيتهما أبلغ وأقوى دلالة من الأخرى نجد أنها تسير إلى ذلك من خلال أربعة محاور، تنادى جميعا على ترجيح جانب النكر على الإمر وأشديته ، وتتعانق على تصوير شناعة قتل الغلام وفظاعته ، وأنه أدخل فى النكارة من خرق السفينة.

المحور الأول:

تغاير الأوجه القرائية على حرف المضارعة بالتاء والياء

لهذا المحور فى القصة مثال واحد جاء فى قوله ـــ سبحانه ـــ فى آية خرق السفينة: "قال أخرقتها لتغرق أهلها " ، حيث قرأ حمزة والكسائى الفعل المضارع : "لتغرق" بياء وراء مفتوحتين ، ورفع الأهل ، وقرأ الباقون بالتاء المضمومة والراء المكسورة ، ونصب الأهل [١] .

وحين نتلمس عطاء القراءتين فيما نقصد إليه من فصل نجد أن قراءة الجمهور المضارع بالتاء المضمومة ، والراء المكسورة قد أسند فيها الفعل إلى ضمير الخضر ـــ عليه السلام ـــ ، على أنه فاعل الإغراق بخرق السفينة ، مـــن أغرق يُغْرِق ، إغراقا ، ففيها إنكار وتوبيخ ، وزجر وتعنيف وتأنيب ، ومجابهة بذلك كله ؛ بدلالة الاستفهام ، وتاء الخطاب .

أما قراءة حمزة والكسائى بالياء والراء المفتوحتين ، ففيها إسناد الفعل إلى الأهل ، على أنهم فاعلوا الغرق ، الذين يتحملون المسئولية الكاملة عن الحدث ، وإن كان قد دخل عليهم مـــن غير اختيار منهم وطلب ، من غرق ،يغْرق ، والمصدر: غرقا ، وهذا يرجح كون اللام الداخلة على الفعل للعاقبة [٢] ، كما

يرجح أن يكون "إمراً" فى فاصلة الآية بمعنى : العجيب ، وأن يكون الاستفهام فى قول موسى للإنكار المشوب بالتعجب .[٢٥]

وقد سبق أن ذكرنا أن العجب يستعمل فيما كان خيرا وشرا ، وأن المنكر لا يكون إلا شرا محضا ، وشتان بين الأمرين فى الأثر النفسى المترتب عليهما .

إن قراءة المضارع بالياء ـــ بما تشى به من عطاءات سابقة ـــ تدل دلالة مؤكدة على هدو نبرة الخطاب ، وتنادى نداء عاليا على انفعال منضبط فى حيز السيطرة ، وتنبئ عن أن الإنكار الذى تمحضت له قراءة الجمهور لم يكن على أشده ، وأن الغضب الذى تملك على موسى نفسه ، وجاش به صدره لم يبلغ إلى الغاية التى ينغلق عندها العقل عن التأمل والتدبر، مع مراعاة أحوال الأنبياء فى العصمة .

وهذا ما يقرره وينادى عليه ـــ أيضا ـــ اعتذار موسى ـــ عليه السلام ـــ عن ذلك بالنسيان ، كما جاء به النظم الكريم بعده ، وذلك على الوجه الذى سبق تحليله فى دلالة السياق .

١ـ السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٥ تحقيق : د/شوقى ضيف ـ الطبعة الثانية بدون تاريخ ـ الناشر : دار المعارف ـ القاهرة .

٢ـ ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب القيسى /٢ ص ٦٨ ـ تحقيق: محيى الدين رمضان ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م ـ الناشر : مؤسسة الرسالة ، كما ينظر روح المعانى للألوسى /١٥ ص ٣٣٧ .

وثمت معلم آخر يعضد هذا التوجه ويجعله مقبولا ،وهو قول أبى على الفارسى معقبا على قراءة الجمهور :ـــ (" وكلهم خفف الراء ، يعنى : أنهم قرءوا : " لتُغرِق" ولم يقل أحد :" لتُغَرِّق" بشد الراء ، وذلك لقوله تعالى :" فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ " الزخرف ٥٥)، ولقوله :ـ("وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ" الأنفال : ٥٤) ، وقد يدخل "فعّل" فى هذا النحو ، نحو غرّمته وأغرمته ، إلا أن الذى جاء به التنزيل أولى" [١] ؛ إذ لو قرئ بشد الراء لدل ذلك على أن باعث الإنكار ومحركه ، ومهيج الغضب ومثيره هو كثرة ما ينجم عنه الخرق من الغرقى ، وليس إلى الفعل من أساسه ، قليلا كانت الغرقى أم كثيرا ، وهذا فيه ـــــ كما ترى ـــ ما فيه .

ثم إنه يؤكد أن باعث الخضر على الخرق إنما هو الإغراق ، وليس عند موسى علم بذلك ، حتى يجزم به ، وهذا قد يتناقص ـــ أيضا ـــ مع ما جاء فى تفسير القصة بعد ذلك فى قوله ـــ سبحانه ـــــ :ـ " فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " .

وهذا كله إنما ينهض دليلا ظاهرا على أن "إمراً" فى قصة الخرق أخف وطأة ، وأقل دلالة من "نكراً" فى فاصلة قصة الغلام .

المحور الثانى:

تغاير الأوجه القرائية على الكلمة بزيادة ألف المفاعلة بعد الفاء وحذفها

يجرى الفصل بين الكلمتين ـــ هنا ـــ فى قول الله ـــ تعالى ـــ فى اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ على الخضر فى آية قتل الغلام :ـ " أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ "؛ حيث قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبوعمرو ، ويعقوب:"زاكية" بألف المفاعلة بعد الفاء ، وقرأ الباقون بحذفها وشد اللام [٢] .[٢٦]

وإذا أردنا ان نبحث فى دلالة تغاير القراءة على الكلمة ـــ كما سبق تفصيله ـــ على أن القتل أشنع من الخرق ، ومن ثم فإن النكير عليه بإيثار كلمة "نكراً" فى فاصلته أقوى وأبلغ من "إمراً" فى فاصلة قصة السفينة فأول خطوة على طريق ذلك أن نتعرف على معنى الكلمة وعطائها فى القراءتين ؛ فالزكية مشددة اللام من غير ألف الفعال ـــ كما قالوا فى توجيهها ـــ :ـــ

١ـ الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى /٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ـ تحقيق : بدر الدين قهوجى ـ بشر جويجاتى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ـ الناشر : دا المأمون للتراث .
٢ـ ينظر السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٥.

هى النفس لم تجن ذنبا يسوغ قتلها ، من كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل النفس بغير حق [1] .[27]

والزاكية بألف الفعال بعد الفاء، وتخفيف اللام: هى الطاهرة النامية [2].

والزكية بشد اللام ، وحذف الألف : على مثال "فعيل" من صيغ المبالغة ؛ للدلالة على الكثرة ، ففيها تأكيد ومبالغة فى طهرها ونظافتها .

والذاكية بزيادة الألف بعد الفاء ـــ بالمعنى السابق ـــ فيها دلالة على أنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم ، فهى طاهرة لم يجر عليها القلم بعد ، ومن ثم لم تبلغ مبلغ المؤاخذة ، وليس هناك أدنى مسوغ لقتلها .

والقراءة بشد اللام وراءها نفس ثائرة مشحونة ، وثورة النفس وغيظها يترجمها اللسان بالضغط على مخارج بعض الحروف ، وهى ـــ هنا ـــ لام الكلمة ـــ فيما يعرف بالنبر[3] ـــ ، وهذا شئ من دقة القرآن وإعجازه فى الحكاية عن

١ـ ينظر معانى القراءات للأزهرى /٢ ص١١٥ـ تحقيق : د/ عيد مصطفى درويش ، د/ عوض بن حمد القوزى ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ـ الناشر : دار المعارف ـ مصر ، كما ينظر تفسير أبى السعود /٥ ص ٢٣٥ .

٢ـ ينظر معانى القراءات /٢ ص ١١٥ .

٣ـ النبر : هو الضغط على مقطع خاص من مقاطع الكلمة، حتى يصبح بارزا ، وأوضح فى السمع من غيره من المقاطع الأخرى ، ويمكن إدراجه تحت ما يعرف بالتنغيم ـ الدلالة السياقية عن اللغويين ـ د/عواطف كنوش المصطفى ص ٤٢.

الأشخاص بما يصور أحوالهم ، ويعكس أفكارهم ونفسياتهم على أكمل وجه وأدقه .

والقراءة بزيادة الألف وراءها دلالة على امتلاء النفس بأزيز الغضب، وانفعال الوجدان إلى حد الانفجار ، فلم تجد متنفسا إلا فى هذه المد ؛ لهدهدة التوتر، والتخفيف من وطأة هذه المشاعر التى ضاق بها الصدر ، ومار بها الوجدان .

ومن هنا يظهر كيف تعانقت القراءتان على استقصاء كل الملابسات والأحوال المقترنة بالفعل؛ لتصوير بالغ شناعته وقباحته ، والدلالة على نهاية فظاعته ، وإظهار كل ما يموج فى نفس الكليم ويعتمل فى صدره من مشاعر الغضب والانفعال العاتية ، والإنكار الحانق تجاه الحدث بكل أحواله وملابساته .

ولا شك فى أن قتل الغلام مع كثرة المقتضيات التى تحول دون ذلك ، على الوجه الذى استقصته القراءتان ـــــ كما بينا ـــــ يجعل الإقدام عليه أشنع وأفظع ، وإظهار النكير والامتعاض منه أقوى وأبلغ من خرق هو مظنة غرق غير محتمل .

المحور الثالث :

تغاير الأوجه القرائية على عين الكلمة تخفيفاً وتثقيلاً

ينهض الفصل بين الكلمتين فى الإنكار المتناسل من التعبير بكل واحدة منهما فى سياقها من النظم الكريم قوة وضعفاً فى موضعين اثنين ، جاء الأول منهما فى قوله ـــ سبحانه ـــ :ـــ " لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا " ، حيث قرأ ابن كثير ، وحمزة، وأبو عمرو ، والكسائى ، وعاصم فى رواية حفص :" نُكْرا " فى فاصلة القصة خفيفة بتسكين العين ، وقرأ ابن عامر ، وعاصم فى رواية أبـــى بكر ، ونافع فى رواية ورش ، وقالون ، والمسيبى ، وأبو بكر بن أويس ، وابن جماز " نُكُراً " مثقلة بضم العين [١] .

ومثال " فُعُل " بضم الفاء والعين يجرى فى الصفات المشبهة باسم الفاعل ؛ للدلالة على الثبوت والدوام ؛ ولذلك قال أبو على الفارسى معقباً على هذه القراءة :" نُكُر " فُعُل ، وهو من أمثلة الصفات ، قالوا: ناقة أَجُد [٢]، ورجـــل شُلُل [٣] ، ومشية سُجُح [٤] ، وأنشد سيبويه :ـــ وامشوا مشية سُجُحا [٥] . [٢٨]

---

[١] ـ ينظر السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص٣٩٥ ، ٣٩٦ ـ تحقيق د/ شوقى ضيف

٢ـ الأَجُد : هى القوية الموثقة الخلق التى تراها كأنها عظم واحد ـ اللسان ـ أجد ـ ص٣١ / ١ .

٣ـ الشُلُل : الخفيف السريع ـ اللسان ـ شلل ص ٢٣١٧ /٤.

٤ـ سجح : أى سهلة لينة ، وسجح الطريق : محجته ؛ لسهولتة ـ اللسان ـ سجح ص ١٩٣٩ / ٣ .

فمن خفف ذلك ، فكما يخفف العُنُق ، والعُنْق ، والطُّنُبُ ، والطُنْب [٦] ، والشُغُل والشغْل ، والتخفيف فى ذلك مستمر [٧] .

وفى كلام أبى على ما يفيد أن قراءة التثقيل هى الأصل ، وأن قراءة التخفيف فرع عنها ، وهو ما نص عليه غير واحد ـــ أيضا ـــ [٨] .

وفى ضوء ماتقدم نستطيع أن نستخلص المغزى من تغاير القراءة على الكلمة ، والذى يعضد ما نحن بصدده ؛ فقراءة التخفيف تفيد إلى جانب الدلالة على أصل المعنى تحقيق التوافق والتناسق الإيقاعى فى فواصل الآية الكريمة التى اطردت فى سياق القصة على سكون العين .

وقراءة التثقيل ـــ وهى الأصل ـــ تفيد إلى جانب الدلالة على أصل المعنى ـــ أيضا ـــ ضرباً من تأكيد المعنى وتحقيقه؛ فما أقدم عليه الخضر من قتل الغلام ثابت النكارة ؛ راسخ القدم فى القباحة .

كما تفيد ضرباً من المبالغة فى تقبيح الفعل وتشنيعه ، وهو ما يوحى به تنظير أبى على الكلمة بغيرها من الصفات الموافقة

٥ـ جزء من شطر بيت لحسان بن ثابت والبيت كاملا:
دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا إن الرجال ذوو عصب وتذكير
وهو فى الكتاب لسيبويه /٤ ص ٢٢٤ ـ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ـ الطبعة الأولى بدون تاريخ ـ الناشر : دار الجيل ـ بيروت .
٦ـ الطُنْبُ والطُنُب : حبل طويل يشد به البيت والسرادق ـ اللسان ـ طنب ص ٢٧٠٨ / ٤ .
٧ـ الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى /٥ ص ١٥٩ ، ١٦٠
٨ـ ينظر إعراب القرآن للنحاس /٢ ص ٤٦٧ ـ تحقيق : زهير غازى ـ الناشر : عالم الكتب .

لها فى الوزن بعد النظر فى عطاءاتها فى المعاجم ، كما توحى به قوة الحركة التى ثقلت بها عين الكلمة ، وهى الضمة ، فما أقدم عليه الخضر لا غاية لنكره ، ولا نهاية لقبحه .

ثم إن قراءة التثقيل تعلن عن صدر ضائق مكظوم ، وحنق ظاهر ، وحركة سريعة متوترة ؛ انفجر بها صوت الضمة بقوة وعنف وصخب ؛ لتفظيع ما فعل الخضر ، وتهويل ما أقدم عليه من قتل الغلام ، وهذه هى دقة القرآن ـــ كما سبق أن بينا ـــ فى الحكاية عن الأشخاص بما يصور أحوالهم ، ويعكس ما يعتمل فى صدورهم ، على أكمل وجه وأوفاه ، وليس كذلك مثال " فِعْل" بكسرالفاء وسكون العين ، كما فى " إمرا " ؛ فإن الانتقال من الحركة إلى السكون أيسر وأسلس فى الجهاز الصوتى من تتابع الحركات .

ولا شك فى أن هذا كله يخلص بنا إلى ترجيح أبلغية "نكراً" فى المعنى ، ومجاوزته حد "إمراً" فى الإنكار ، ومن ثم ناسب أن يكون فى فاصلة قصة الغلام ؛ تعقيباً عليها ؛ فإن المعانى الضخمة القوية تنادى على مثلها من الألفاظ ؛ تحقيقا للمشاكلة بين اللفظ ومعناه .

وأما ثانى الموضعين فقد جاء فى تفسير دواعى القتل فى قول الله ـــ سبحانه ـــ:ـ " وأقرب رحما " ، حيث قرأ ابن

عامر " رُحُما " بضم الفاء والعين ، والباقون بضم الفاء وإسكان العين [1] .[29]

والرُّحْم ، والرُّحُم ، والرَّحْم : كله ـــ كما قال أبو عبيدة ـــ بمعنى : الرحمة والعطف [2]، غير أن الرُّحْم بسكون العين إذا كان قد حقق إلى جانب الدلالة على أصل المعنى توافق النسق فى فواصل الآى الكريمة فإن الرُّحُم بضم الفاء والعين قد أفاد إلى جانب أصل الدلالة ضربا من المبالغة والتأكيد ، وذلك على النحو الذى أسلفنا بيانه فى الموضع الأول .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تجاوز فعل القتل الحد فى الشناعة والفظاعة ، والغاية فى القباحة والنكارة ، ومن ثم اقتضى لمحو آثاره فى النفس ، وإزالتها من الوجدان ، ومداواتها فى القلب ضروباً من المبالغات والمؤكدات ، وهذا ما وفت به القراءتان على أكمل وجه وأتمه .[30]

١ـ ينظر السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٧ ـ تحقيق د/شوقى ضيق .

٢ـ ينظر الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى /٥ ص ١٦٦ .

١ـ ينظر السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص٣٩٦، ٣٩٧ ـ تحقيق شوقى ضيف .

٢ـ ينظر معانى القراءات للأزهرى /٢ ص ١٢٠ .

٣ـ هذا نص كلام اللسان : وليس على الوجه الصحيح ؛ لأن الباء تدخل على المتروك ، كقوله تعالى :" ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل " (البقرة ١٠٨) ، فربما كان هذا تعديلا من المحققين فى غير محله ، والصحيح أن يقال : بدلت الخاتم بالحلقة ، إذا أذبتها وسويتها خاتما . وهكذا / مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغى ـ د/ محمد إبراهيم عبدالعزيز شادى ص ١٢٥ طبعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م الناشر : مكتبة السعادة ـ القاهرة .

المحور الرابع:

تغاير الأوجه القرائية على عين المضارع تخفيفاً وتضعيفاً

انتظم الفصل بين الكلمتين ـــ هنا ـــ موضعاً واحداً جاء فى ظلال قول الله ـــ سبحانه ـــ فى بيان علة القتل :ـ " فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة "؛ حيث قرأ ابن كثير ، وعاصم فى رواية أبى بكر :" يبدلهما" بتخفيف الدال وتحريكها مكسورة ، وقرأ نافع ، وأبوعمرو بتحريكها وشدها مكسورة [١] .

وهذا يدل على أن الفعل فى قراءة الدال مشددة من " بدّل " مضعف العين ، وفى قراءة التخفيف من " أبدل " ، والفرق بين هــذين الأصلين : أن " بدّل " تستعمل فيما أزيل وأبدل به غيره [٢] ، ودليل هذا ما جاء فى اللسان : " يقال : أبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا نحيت هذا وجعلت هــذا مكانه، وبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا أذبته وسويته حلقة ، وبدلت الحلقة بالخاتم ، إذا أذبتها وجعلتها خاتما [٣] قال أبو العباس " وحقيقته أن التبديل: تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة بعينها ، والإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى " [٤] .

وهذا الفرق هوا الأصل ، لكنه ليس مطرداً ، كما أشار صاحب اللسان بعد ذلك ؛ " فقد تستعمل " بّدل " مكان " أبدل " إذا

٤ـ اللسان باب بدل ص ٢٣١ /١ .
٥ـ المرجع نفسه /١ ص ٢٣١ بتصرف .

كان المراد هو الدلالة على الكثرة ، يقول أبو عمرو : فعرضت هذا ـــ أى ما سبق من التفريق ـــ على المبرد فاستحسنه ، وزاد فيه ، فقال : وقد جعلت العرب " بدّلت " مكان " أبدلت " وهو قول الله ـــ عز وجل ـــ : " فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ " (الفرقان ٧٠)[٥] .

وعلى ضوء هاتين الوجهتين فى التفريق يمكن تحكيم السياق فى استخلاص المراد الذى يخدم الموضوع ، فقراءة تخفيف: " يبدلهما " من " أبدل " تعنى : إزالة شئ وحلول شئ أخر مكانه ، وهو ما يتفق مع إزالة حياة الغلام وولادة غيره : " وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ..... " [١] الآيات .[٣١]

أما قراءة التشديد من " بدل " فإنها فى هذا الموضوع بمعنى : "أبدل" بيد أن التشديد يدل على الكثرة ، كأن الله ـــ تعالى ـــ أراد أن يخلف على الأبوين أكثر من ولد ، ويرجحه حذف المفعول فى قوله :" فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه " فلم يقل: غلاما خيرا منه ، فيحتمل أن يكون التقدير : أولادا خيرا منه ، وهذا مقتضى قراءة التشديد [٢]، كما يرجحه بعض الروايات التى تناقلتها كتب التفسير فى هذا الشأن [٣].

١ـ مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغى . د/ محمد إبراهيم عبدالعزيز شادى ص ١٢٥ .

٤ـ ينظر المرجع نفسه ص ١٢٦ .

٣ـ قيل : ولدت ولهما جارية تزوجها نبى ، فولدت له نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم ، وقيل : ولدت لهما سبعين نبياً ـ الكشاف للزمخشرى /٢ ص ٧٤١ ، والبحر المحيط لأبى حيان / ٦ ص ١٥٥ ،وتفسير أبى السعود /٥ ص ٢٣٨ .

وحديث الإخـــلاف بهذه الدلالة التى نادت عليها قراءة التشديد ، على النحو الذى بيناه إنما نظر فيها إلى حال موسى ـــــ عليه السلام ـــــ ؛ فما زالت حادثة القتل ـــ لفظاعتها وشناعتها ـــ مصورة فى قلبه ، ماثلة نصب عينيه ، وما زالت مشاعر الانفعال والغضب ـــ لشدتها وقسوتها ـــ يغلى منها دماغه ، ويضيق بها صدره ، ومن ثم كان تعانق القراءتان على الفعل تخفيفاً وتضعيفاً ـــ استقصاء لكل هـــذه الأحوال والملابسات ، وتأكيداً عليها ـــ هو الذى يهدهد ثورة الانفعال والغضب العارمة ، ويدخل الأنس والطمأنينة على قلب موسى ـــ عليه السلام ـــ ويداوى هذا الجرح الغائر فى وجدانه من هذه الفعلة التى بلغت فى النكر والفظاعة ـــ بحسب الظاهر ـــ الغاية والنهاية ، ويُزيل كافة الآثار الناجمة عنها ويمحوها من نفسه ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن القتل كان أشنع وأقبح ، ومن ثم كان "نكراً" فى فاصلته أقوى وأبلغ فى الإنكار من "إمراً" فى قصة خرق السفينة .

المحور السادس

الفصل بدلالة الوقف والابتداء

الوقف فى القرآن الكريم ليس عبثا ، ولا أمرا عارضاً ، ولا حلية شكلية ، وإنما جاء لغرض وحكمة ؛ فهو " حلية التلاوة ، وزينة القارئ ، وبلاغ التالى، وفهم المستمع ، وفخر العالم ، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين ، والنقيضين المتنافيين ، والحكمين المتغايرين ، وبه تجلى لطائف المعانى ، وتظهر نكات البيان ؛ ولذلك قال أبو حاتم : من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن ، وقال ابن الأنبارى : من تمام القرآن معرفة الوقف والابتداء ؛ إذ لا يتأتى لأحد معرفة معانى القرآن إلا بمعرفة الفواصل(١)" .

فكل هذا يكشف عن أهمية الوقف ، ويبين خطره ومنزلته ، وينادى على وجوب تعلمه وتعليمه ؛ إذ به تصح القراءة ، وتفهم المعانى ، وبفهم المعانى فى الوقف نفهم معانى آيات القرآن الكريم .

ومن هنا لا نعجب حين نطالـــع قول عبدالله بن عمرـــــ رضى الله عنهما ــــ :ـــ " لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ــــ صلى الله عليه وسلم ــــ فنتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغى أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأينا اليوم

رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ،فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يرى ما آمره ولا زاجره ، وما ينبغى أن يوقف عنده.." [٢]. ٣٢

ولذلك قال النحاس معقباً :ــ " فهذا يدل على أنهم كانوا يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن ، حتى قال بعضهم : إن معرفة الوقف تظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة ، كما لو وقف على قوله تعالى : " وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ " (القصص الآية ٦٨) ، فالوقف على " يختار " هو مذهب أهل السنة ؛ لنفى اختيار الخلق ، لا اختيار الحق ، فليس لأحد أن يختار ، بل الخيرة لله تعالى" [٣] .

ومن هنا لا نعجب ـــ أيضا ـــ حين نرى عالماً كابن الجزرى يعده من أوجه الإعجاز وضروبه ، وأفنانه وشعوبه ، قال :ــ " ولما لم يكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة فى نفس واحد ، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ؛ لأنه كالتنفس فى أثناء الكلمة الواحدة ، وجب ـــ حينئذ ـــ اختيار وقف

---

[١] ـ نهاية القول المفيد لمحمد مكى نصر ص ١٥٢ الناشر :ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ــ القاهرة .

٢ـ الأثر فى السنن الكبرى للبيهقى ـ كتاب الصلاة ، باب إنما قيل يؤمهم أقرؤهم /٣ ص١٢ / حديث رقم ٥٧٥ ـ تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ـ الناشر : مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٣ـ منار الهدى فى بيان الوقف و الابتدا للأشمونى ص٥ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ ـ الناشر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ مصر.

للتنفس والاستراحة ، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى، أو يخل بالفهم؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ، ويحصل القصد " [1]. [33]

ومن ثم عرفوا الوقف فى اللغة " بأنه الكف عن الفعل والقول ، وفى الاصطلاح : قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما ، أو هو قطع الكلمة عما بعدها " [2] .

ولست ـــ هنا ـــ فى معرض تفصيل ، وإنما قدمت ذاك التقديم بين يدى الدراسة فى هذا المحور؛ لنمضى على أرض صلبة ، وخلفية معرفية تنير لنا طريق البحث ومقصوده الأهم فى حل هذه الإشكالية التى أثارها المفسرون وعلماء اللغة حول دلالة كل من "إمراً ، ونكراً" فى فاصلة آيتى خرق السفينة وقتل الغلام من قصة موسى والخضر ـــ عليهما السلام ـــ ، وأيتهما أشد نكيراً على العبد الصالح من الأخرى .

وحين نبغى الحل ونقصد الفصل بين الكلمتين من طريق هذه الدلالة نجد أنها تأخذ بنا إلى ترجيح جانب النكر على الإمر ، وتصوب نحوه بقوة ؛ فمن اللافت للنظر فى المصاحف أنه لا توجد علامة وقف من أىنوع فى آية قتل الغلام ، لا بين فعل الخضر وإنكار موسى ـــ عليه السلام ـــ ولا بين قول موسى

١ـ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى /١ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ـ راجعه الشيخ على محمد الضباع ـ الناشر : دار الفكر ـ بدون تاريخ ، كما ينظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ـ تحقيق : مصطفى ديب البغا ـ الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ـ الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق . .

٢ـ منار الهدى فى الوقف والابتدا للأشمونى ص ٨ .

بعضه بعضاً ، وراجع قوله ـــ سبحانه ـــ :ـــ " فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ... " الآية . فى المصاحف؛ لتتأكد من صحة هذه النتيجة .

أما فى آية خرق السفينة فثمت علامة وقف على نهاية الجملة الشرطية ، بين فعل الخضر ، واعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ ، على هذا النحو :ـ " فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ...." الآية . هذه العلامة تنبئ عن جواز الوقف على جواب الشرط .

وهذا له فحواه ودلالته التى ينطق بها ؛ إذ إن وجود علامة الوقف فى آية خرق السفينة فى نهاية جواب الشرط إنما قصد به الفصل بين فعل الخضر ، وبين اعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ عليه ، وفى هذا إيحاء بتراخى زمن الإنكار عن زمن الخرق ـــ ولو بقدر ضئيل ـــ وإشعار بأن الإنكار لم يله فى الوجود ، ولم يتصل به مباشرة .

أما خلو آية قتل الغلام من وجود علامات الوقف فقد أريد به وصل الإنكار ولحمه بفعل القتل ،والدلالة على وقوع القتل والاعتراض عليه فى زمان واحد ، والتلويح باتصال إنكاره ـــ عليه السلام ـــ بفعل الخضر من دون مهلة أو تراخ .

ودليل هذا وأمارة ترجيحه أن الخرق جعل فى قصة السفينة جزاءً ، واعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ مستأنفاً ، وفى قصة الغلام جعل القتل من فعل الشرط ، واعتراض موسى ـــ عليه السلام ـــ جزاءً ، ومن المسلم به أن الشرط والجزاء فى حكم جملة واحدة ، فهذا ينادى على أن اعتراض موسى فى القصة الأولى ليس كإنكاره فى القصة الثانية ، ومن ثم كان موضوع العناية ومحط الاهتمام ، وهذا مبناه ـــ كما سبق ـــ على أن الحكم فى الكلام الشرطى هو الجزاء ، والشرط قيد له ، بمنزلة الحال عند أهل العربية .

وتحليل هذا أن قتل الغلام لبالغ شناعته ، ونهاية فظاعته وقباحته لم يترك لموسى ـــ عليه السلام ـــ مساحة من الزمن ريثما يلتقط أنفاسه ، ولم يمهله سعة من الوقت ـــ ولو فى جزء ضئيل ـــ للتروى والتفكير فى حقيقة الأمر وتدبره ، فلم يستطع موسى ـــ لذلك ـــ أن يكبح جماح مشاعره الفائرة ، ولا أن يحبس انفعاله الثائر تجاه هذا الفعل المنكر ، فانفلت زمام صبره حيال هذا الحدث الشنيع ، فاندفع مسرعاً من دون مهلة أو تراخ ، وبادر إلى اتخاذ موقف مبالغ فى الإنكار والغضب

أما فى آية خرق السفينة فإن الأمر على خلاف ذلك ؛ فموسى ـــ عليه السلام ـــ لم يبادر بالاعتراض ، ولم يعجل إليه عجلته فى قتل الغلام ، بل توقف أمام هذا الفعل العجيب قليلاً قبل أن يعلن عن استنكاره ، وتمهل زمناً قبل أن يصرح بموقفه منه ، وهو من دون شك يستغرق زمناً أطول من القتل ، وهذه

هى دلالة علامة الوقف فى طوايا قصة السفينة ، بين فعل الخضر وإنكار موسى ، ومتقضى جعل الخرق جزاءً ، واعتراض موسى مستأنفاً.

ودليل آخر يقوى هذا التوجه فى الترجيح ويؤكده ، ويجعل له وجهاً مقبولاً ، وهو خلو اعتذار موسى ـــ عليه السلام ـــ عن اعتراضه على الخرق من علامات الوقف :"قَالَ ى ى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا "، وثبوت هذه العلامات فى اعتذاره عن اعتراضه على القتل ، بين جزاء الشرط والجملة المستأنفة التى تليه ، على هذا النحو :" قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا " .

وثبوت علامة الوقف فى اعتذاره الثانى ـــ على هذا النحو ـــ يدل دلالة مؤكدة على أن قتل الغلام كان أشنع وأقبح من خرق السفينة ، وهو ما يقتضى تبعاً أبلغية "نكرا" وأشديته فى مجابهة الخضر ـــ عليه السلام ـــ .

ذلك أن وجود هذه العلامة بين طوايا الاعتذار الثانى ـــ على النحو السابق ـــ يدل على أن نبى الله موسى ـــ عليه السلام ـــ ما زال واقعاً تحت سطوة الانفعال والغضب ، وهيمنتها العارمة ، ومن ثم حاول بهذه الوقفة القصيرة أن يلتقط

أنفاسه؛ فى محاولة منه لكبح جماح غضبه ، وتخفيف وطأة مشاعر الانفعال والحنق ، وهدهدة التوتر المسيطر على وجدانه .

أما خلو اعتذاره الأول من هذه العلامات ففيه دلالة على أن انفعاله وغضبه لم يبلغ مبلغه حين قتل الغلام ، ومن ثم جاء اعتذاره فى نبرة هادئة ، وصوت خافت ضعيف ، وذلك على الوجه الذى سبق أن أفضنا الحديث عنه فى دلالة السياق .

وثمت دليل ثالث يؤكد ما رجحناه ويقرره ، وهو ثبوت علامة وقف بين فعل الخضر وبين تلويح موسى ـــ عليه السلام ـــ بالاعتراض فى قصة إقامة الجدار ، على هذا النحو :ـ " فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" (الكهف : ٧٧) ، وقد اتفقوا جميعا على أن إقامة الجدار كانت أهون من خرق السفينة ، ومن قتل الغلام ، وأن اعتراض موسى عليه فيه كان أخف وطأة من اعتراضه على الفعلين السابقين ؛ لأنه ـــ على كل حال ـــ كان سعياً فى مصلحة ، ودرءاً المفسدة ، أما الخرق والقتل فكانا فساداً حاصلاً فى الظاهر . والله أعلم.

وأخيراً : فإن ثبوت علامات الوقف فى قصة الخرق والجدار ، وانتفاءها فى قصة الغلام ، ووجودها فى الاعتذار الثانى ، وخلو الأول منها هو الذى يصور كم ومقدار مشاعر الانفعال والغضب التى جاشت فى صدر الكليم ، وماجت بها نفسه حيال الموقفين ، ويجسدها قوة وضعفاً ، ويرسم بظلاله نبرة

الصوت ، وطريقة التعبير عما فى النفس والضمير حين التعرض لهذه المواقف .

الخـــــاتمـــــــــة

وبعد هذه المسيرة الوارفة بين "إمراً ، ونكراً" فى ظلال قصة موسى والخضر ـــــ عليهما السلام ـــــ من سورة الكهف تأتى الخاتمة فى نهاية المطاف راصدة ومسجلة لأبرز النتائج التى تمخضت عنها هذه الدراسة .

وقبل أن نشرع فى بيان ذلك أذكر أن البحث جاء مقدمة ، وتمهيد ، وستة محاور ، وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع .

فالمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والخطة التى سلكها البحث فى هذه الدراسة ، والتمهيد عرضت فيه لمجمل أقوال المفسرين ، وعلـــماء اللغة والمتشابه فى القضية ، وناقشت فيه أدلتهم فيها، ثم بينت ـــــ بإيجاز ـــــ وجهة البحث فى المسألة .

وفى المحاور الستة وقفت مع الكلمتين ـــــ تفصيلاً وتحليلاً ـــــ وقفات متأملة فى كثير من الاتجاهات التى من شأنها أن تخدم الغرض ، وتصل بنا إلى تحقيق المغزى والغاية التى صوب نحوها البحث .

وقد أخذت بنا الدراسة فى هذه المحاور إلى ترجيح وتأكيد وجهة البحث التى ذهبت إلى أن القتل كان أشنع وأفظع من الخرق ، وأن النكر أقوى وأبلغ فى تقبيح الفعل من الإمر ، ومن

ثم ناسب أن يكون فى فاصلة آية قتل الغلام تعقيباً عليها ، وأن يكون الإمر منكراً فى فاصلة الحدث الأهون تعقيبا عليه .

وأما الخاتمة فقد لخصت فيها ما تقدم ، وأودعتها نتائج البحث ، وذلك على النحو الآتى :ـــ

١ـــ الدقة التامة فى إيثار القرآن للمفردات ذات الدلالة والنسيج الصوتى المتناغم مع المعنى والجو المحيط ، وذلك على نحو يعمق الإحساس بالمضمون ، ويحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

٢ـــ ثراء الدراسة البينية ، وكثرة إشعاعاتها وعطاءاتها ، وتعدد مناحيها فى النسق القرآنى المعجز ، بشرط أن تقوم على أساس سليم ، ومنهجية علمية تضع نصب عينيها وهى توازن أن النسق القرآنى على حد سواء فى الإعجاز ، ولا تتفاوت أطرافه فى البلاغة .

٣ـــ عوامل السياق ، وقرائن الاحوال ، وطبيعة المواقف هى المعول عليه فى الحكم فى نظر البلاغة ، وأى دراسة فى الأساليب ـــ لا سيما الأسلوب القرآنى ـــ بعيداً عنها حيدة عن المنهجية فى البحث ، وضلال عن الصراط المستقيم ، يؤدى ـــ حتماـــ إلى نتائج غير ذات جدوى أو قيمة يغنى فسادها عن إفسادها .

هذه الملاحظة ليست ابتكاراً جديداً لا عهد للبلاغيين به ، بل هى حقيقة معلومة، ومسلمة مشهورة عند صغيرهم وكبيرهم ،

لكننى رصدتها ـــ هنا ـــ ؛ زيادة فى تقريرها وترسيخها ؛ لظهورها الشديد فى هذه الدراسة.

٤ـــ القراءات القرآنية ، وكذا علامات الوقف والابتداء معالم بارزة من معالم البلاغة القرآنية يتوارى وراءها كثير من الأسرار واللطائف البلاغية فى الحكاية عن الأشخاص ، وتصوير أحوالهم ، ورسم ملامحهم ، وتتطلب جهوداً دؤوبة لاستخراجها ، وتتبعها دراسة وتحليلاً ، فى محاولة للكشف عما تشتمل عليه من وجوه الإعجاز وضروبه .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

ثبت المصادر والمراجع

١ـــ القرآن الكريم .

٢ـــ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ـــ تحقيق : مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ /١٩٩٦م ـــ الناشر : دار ابن كثير ـــ دمشق .

٣ـــ الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ـــ تحقيق : د/سيد الجميلى ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـــ الناشر : دار الكتاب العربى ـــ بيروت .

٤ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبى السعود ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ـــ الناشر :دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت

٥ـــ أصوات اللغة العربية ، دراسة نظرية وتطبيقية ـــ د/ محمد حسن حسن جبل ـــ الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .

٦ـــ إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ـــ تحقيق : زهير غازى زاهد ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ـــ الناشر : عالم الكتب .

٧ـــ أنوار التنزيل وأسرارالتأويل المعروف بتفسير البيضاوى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٨م ـــ الناشر : دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت .

٨ـــ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ـــ الطبعة الثانية ١٤١١هـ /١٩٩٠م، الناشر: دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت .
٩ـــ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرمانى/ تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ـــ الناشر : دار الفضيلة ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ .
١٠ـــ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى ـــ تحقيق: محمد على النجار ـــ الناشر :المكتبة العلمية ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .
١١ـــ البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم ـــ د/ محمد إبراهيم عبدالعزيز شادى ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م ـــ الناشر : مؤسسة الرسالة.
١٢ـــ البيان والتبيين للجاحظ ـــ تحقيق : فوزى عطوى ـــ الناشر : دارصعب ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .
١٣ـــ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ـــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م الناشر: مؤسسة التاريخ ـــ بيروت .
١٤ـــ تصور المقام فى البلاغة العربية ـــ د/ محمد بدرى عبدالجليل ـــ الناشر : دار المعرفة الجامعية ـــ الأزاريطة ـــ الإسكندرية .
١٥ـــ التعريض فى القرآن الكريم ـــ د/ إبراهيم محمد عبدالله الخولى ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

١٦ـــ التفسير القرآنى للقرآن لعبدالكريم الخطيب ـــ الناشر : دار الفكرالعربى .
١٧ـــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ـــ الناشر : دار الغد العربى ـــ مصر .
١٨ـــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـــ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .
١٩ـــ حاشية الجمل على شرح المنهج لسليمان بن عمر العجيلى الجمل ـــ الناشر : دار الفكر ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .
٢٠ـــ حاشية الدسوقى على شرح السعد من شروح التلخيص ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .
٢١ـــ حاشيةالشيخ زاده على تفسير البيضاوى ـــ الناشر : دار صادر ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .
٢٢ـــ الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى ـــ تحقيق : بدر الدين قهوجى ـــ بشر جويجاتى ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ـــ الناشر : دارالمأمون للتراث .
٢٣ـــ الخصائص لابن جنى ـــ تحقيق : محمد على النجار ـــ الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة ـــ القاهرة ٢٠٠٦م .

٢٤ـــ الدر المصون فى علم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ /١٩٩٤م ـــ تحقيق : الشيخ على محمد معوض ـــ عادل أحمد عبدالموجود ـــ د/ جاد مخلوف جاد ـــ د/ زكريا عبدالمجيد النوتى ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

٢٥ـــ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية فى ضوء نظرية السياق ـــ د/ عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى / الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩١م ـــ الناشر : دار المنار ـــ القاهرة .

٢٦ـــ الدلالة السياقية عند اللغويين ـــ د/عواطف كنوش المصطفى ـــ الطبعة الأولى ٢٠٠٧م ـــ الناشر : دار السياب للطباعة ـــ لندن.

٢٧ـــ دليل الحيران فى متشابهات القرآن ـــ إعداد : عبدالمنعم كامل شعير ـــ راجعه : حمد صادق الجمال ـــ تقديم : د/ صلاح الدين عبدالتواب ـــ الناشر : دار الكتاب الحديث ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م .

٢٨ـــ روح المعانى والسبع المثانى للألوسى البغدادى ـــ الناشر : دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .

٢٩ـــ السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـــ تحقيق : د/شوقى ضيف ـــ الطبعة الثانية بدون تاريخ ـــ الناشر : دار المعارف ـــ مصر .

٣٠ـــ سر صناعة الإعراب لابن جنى ـــ تحقيق : د/مصطفى السقا ـــ د/ محمد الزفزاف ـــ الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م ـــ الناشر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـــ مصر .

٣١ـــ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ـــ الناشر : مطبعة صبيح ١٩٦٩م.

٣٢ـــ السنن الكبرى للبيهقى ـــ تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ـــ الناشر : مكتبة دار الباز ـــ مكة المكرمة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .

٣٣ـــ شروح التلخيص ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .

٣٤ـــ صحيح البخارى ـــ تحقيق : مصطفى ديب البغا ـــ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م الناشر : دار ابن كثير ـــ اليمامة ـــ بيروت .

٣٥ـــ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى اليمنى ـــ مراجعة : محمد عبدالسلام شاهين ـــ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٥م ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

٣٦ـــ فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ـــ الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م الناشر : دار الشروق .
٣٧ـــ الكافية فى النحو لابن الحاجب ، وعليها شرح الرضى ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ـــ بيروت .
٣٨ـــ الكتاب لسيبويه ـــ تحقيق : عبدالسلام هارون ـــ الناشر : دار الجيل ـــ بيروت بدون تاريخ .
٣٩ـــ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى ـــ تحقيق د/ مهدى المخزومى ـــ د/إبراهيم السامرائى ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م الناشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـــ بيروت .
٤٠ـــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ـــ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ـــ الناشر : دار الريان للتراث القاهرة .
٤١ـــ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبى طالب القيسى / تحقيق : محيى الدين رمضان ـــ الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ـــ الناشر : مؤسسة الرسالة .
٤٢ـــ كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لبدر الدين بن جماعة ـــ تحقيق : د/عبدالجواد خلف ـــ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ /١٩٩٠م ـــ سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ـــ كراتشى ـــ باكستان .

٤٣ـــ لسان العرب لجمال الدين بن منظور ـــ الناشر : دار المعارف ـــ مصر ـــ بدون تاريخ .
٤٤ـــ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ـــ تحقيق : الشيخ كامل محمد محمد عويضة ـــ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ـــ الناشر: دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٤٥ـــ المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيده ـــ تحقيق : عبدالحميد هنداوى ـــ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ـــ الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٤٦ـــ مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغى ـــ د/ محمد إبراهيم عبدالعزيز شادى ـــ الناشر : مطبعة السعادة ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٧م .
٤٧ـــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـــ الناشر : مؤسسة قرطبة ـــ مصر ـــ بدون تاريخ.
٤٨ـــ معالم التنزيل والتأويل للبغوى ـــ الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر ـــ ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .
٤٩ـــ معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى ـــ تحقيق : د/عيد مصطفى درويش ـــ د/عوض بن حمد القوزى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ـــ الناشر : دار المعارف ـــ مصر .

٥٠ـــ معانى القرآن للكسائى ـــ قدم له د/ عيسى شحاته عيسى ـــ الناشر : دار قباء للطباعة ـــ القاهرة ـــ ١٩٩٨م .

٥١ـــ معانى القرآن لأبى جعفر النحاس ـــ تحقيق : الشيخ محمد على الصابونى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ـــ منشورات جامعة أم القرى ـــ المملكة العربية السعودية .

٥٢ـــ معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ـــ تحقيق : محمد على البجاوى ـــ الناشر : دار الفكر العربى .

٥٣ـــ مفردات ألفاظ القرآن للراغب للأصفهانى ـــ تحقيق : صفوان عدنان داوودى ـــ الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ـــ الناشر : دار القلم ـــ دمشق .

٥٤ـــ مقالات فى اللغة والأدب ـــ د/ تمام حسان ـــ منشورات معهد اللغة العربية ـــ جامعة أم القرى ـــ مكة المكرمة ١٩٨٥م.

٥٥ـــ مقاييس اللغة لابن فارس ـــ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ـــ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م ـــ الناشر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده / مصر .

٥٦ـــ مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ـــ د/ إبراهيم محمد عبدالله الخولى ـــ الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـــ /٢٠٠٧م ـــ الناشر : دار البصائر ـــ القاهرة.

٥٧ـــ ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل لابن الزبير العاصمى الغرناطى ـــ تحقيق : سعيد الفلاح ـــ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ـــ الناشر : دار الغرب الإسلامى ـــ بيروت .
٥٨ـــ منار الهدى فى الوقف والابتدا للأشمونى ـــ الناشر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ـــ مصر .
٥٩ـــ مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م الناشر : دار الفكر ـــ لبنان .
٦٠ـــ من أسرار حروف العطف فى الذكر الحكيم الفاء ، وثم ـــ د/ محمد الأمين الخضرى ـــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ـــ الناشر : مكتبة وهبة ـــ القاهرة
٦١ـــ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـــ راجعه : محمد على الضباع ـــ الناشر: دارالفكر ـــ بدون تاريخ .
٦٢ـــ نهاية القول المفيد لمحمد مكى نصر ـــ الناشر: مطبعة مصطفى البابى وأولاده / مصر .

دكتور
السيد أحمد أحمد موسى
مدرس البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية بالزقازيق